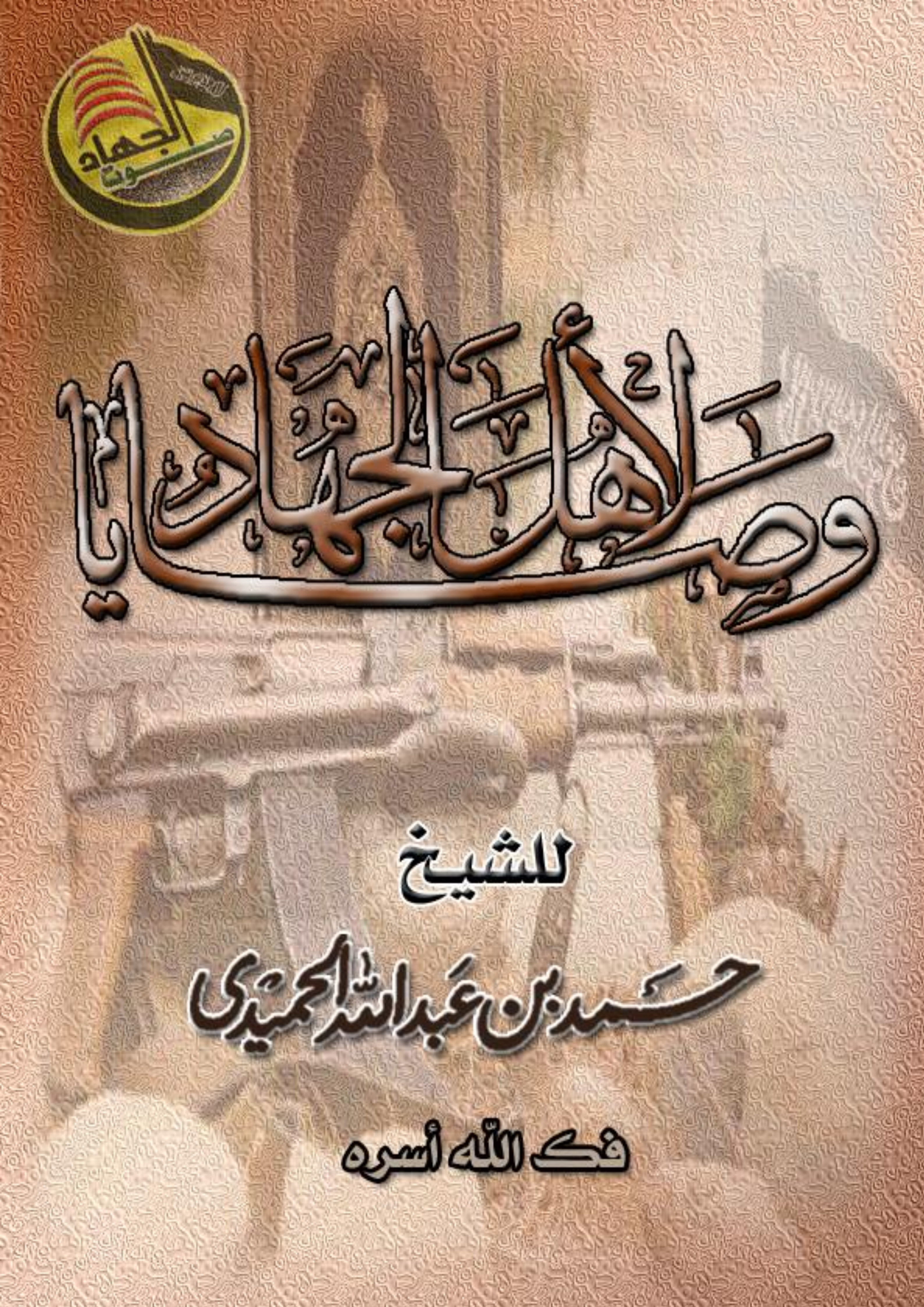

صوت الجهاد
وصايا لأهل الجهاد
للشيخ
حمد بن عبدالله الحميدي
فك الله أسره

المقدمة

الحمد لله الذي فرض على عبادة الجهاد ، ووعدهم بالتمكين في الأرض والرفعة على أهل الإلحاد , والصلاة والسلام على خير العباد, من جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبة الطيبين الطاهرين .وبعد

فقد كانت هذه المقالات المنشورة في مجلة صوت الجهاد في أعدادها عبارة عن نصائح وتوجيهات وإرشادات للمجاهدين وخاصة في جزيرة العرب ، للشيخ المحدث (عامر بن عبد الله العامر) حمد بن عبد الله الحميدي فك الله أسره ، وإتماماً لفائدة القارئ أُخرجت هذه المقالات مجموعة في كتاب واحد باسم الزاوية التي ضمت تلك المقالات ، نسأل الله أن ينفع القارئ وأن يفك أسر الكاتب إنه سميع مجيب .

موقع صوت الجهاد

في جزيرة العرب

صبراً يا أهل الجهاد

الحمد لله الصبور الشكور ، الذي كل عسير عليه يسير ، جعل الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين ، وأشهد ألا إله إلا الله القائل : (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) فالسلامة من كيد الفجار ومكر الكفار والاستنصار عليهم لا يكون إلا بالصبر واليقين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام الصابرين وأسوة لمن بعده إلى يوم الدين . أصبرهم لحكم ربه وأشكرهم لنعمه وأقربهم إليه وسيلة ، قام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه ، فثبت في مقام الصبر حتى لم يلحقه أحدٌ من الصابرين ، وترقى في درجة الشكر حتى علا فوق جميع الشاكرين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين لاقوا في سبيل القيام بهذا الدين و أرخصوا في ذاته الغالي والنفيس ، فبذلوا مهج النفوس ونافسوا في بذل الأموال فباعوها لله وقالوا لا نقيل ولا نستقيل .

أما بعد : فيا أيها المجاهدون إن طريقكم صعب ووعر لا تستطيعه إلا النفوس الزكية الأبية المحبة المحبوبة الذين بشر الله بهم عند وجود أهل الردة بأن يختارهم عن غيرهم فضلاً منه وكرماً فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) فها أنتم جعلكم الله أشد منعةً و أقوم سبيلاً وهذا من توفيقه لكم فاصبروا على ما ابتلاكم الله به قال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) فالله جعل الصبر جواداً لا يكبو ، وصارماً لا ينبو ، وجنداً غالباً لا يهزم وحصناً حصيناً لا يهدم ولا يثلم ، فهو والنصر أخوان شقيقان ، فعليكم بالصبر والثبات ، ولزوم المراكز والمعسكرات ، وإياكم والضجر والسآمة والملل ، وغير ذلك مما يؤول بصاحبه إلى الوهن والفشل ، واحذروا التفرق والتنازع والاختلاف ، والانسحاب عن شيء من تلك المقامات والمواقف ، فإن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر ، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ، ومحله من الظَّفَر كمحل الرأس من الجسد . فيا حراس العقيدة ويا حماة الدين يا من باع نفسه بأغلى السلع ، فالله المشتري وأنت البائع والسلعة : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهد في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) فقد علق بالصبر والتقوى الإمداد بالجنود التي لا تغلب ، ويعقبه النصر والظفر قال تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) وقال تعالى : (بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ)وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس :"واعلم أن النصر مع الصبر " أحمد ج1 ص293. ولذا أمرك ربك بالاستعانة به وإنه نعم العون والعدة فمن لا صبر له لا عون له قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) فالزَم الصبر وأَكْثِر من الصلاة تَنَلَ معية فاطر الأرض والسماوات فمن كان الله معه صار معه القوة التي لا تغلب ، فلا يُقهر العدو بمثل هذا أبداً . فاستعينوا بالله واصبروا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأبشروا وأملوا وأحسنوا الظن بربكم وقرب وعده لكم قال تعالى : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) وقال تعالى :(وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ) . ولا تظنوا أن تنالوا العزة والرفعة والتمكين حتى تبتلوا بالقتال والشدائد قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ) وقال تعالى : (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا

آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) وأخرج الإمام أحمد والنسائي من طريق راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (أن رجلاً قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال:" كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة " وقال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً قال :" الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صُلْباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة" قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح واعلموا أن قتالكم للكفار من أعظم القرب فاصبروا على ملاقاة عدوكم فقد بلاكم الله بهم فحلوا في ديار الحرمين وزاحموكم عند دينكم ورسخوا قواعدهم بفنائكم ، وطلبوا منكم الدخول في طاعتهم فتصرفوا في مناهج تعليمكم وسلبوا خيراتكم فأفسدوا دينكم كما ألبسوا الصليب من يسمون بالحكام فهم على قدم وساق حتى يلبسوا الشعوب هذا الشعار النصراني قال تعالى : (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) وقال تعالى : (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) ودنسوا أعراضكم ، أما علمتم بمقابلة كلينتون للنساء في جدة ومقابلتهن له ؟ فهبوا لمصارمة عدوكم الذين قالوا في ربكم فكفرهم بذلك فقال : (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ) . وقال : (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) فأرخصوا كل شيء في قتالهم فقال تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) الآية وأمركم ربكم بقتال جميع الكفار فقال : (وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) وقال : (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا) فطهروا الأرض منهم طهركم الله من كل ذنب وخذوا بوصية الله لكم حيث يقول : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فمصلحة الجهاد سببٌ لزوال الفتنة عن المسلمين فهو مصلحة محضة عظيمة ، فلو خرج المسلمون من أموالهم . وأتم الله لهم مقصودهم ، وكفاهم عدوهم لكان ذلك قليلاً في تحصيل هذه المصلحة ، فكيف وفي الجهاد سعادة الدارين لمن خلصت نيته ، وكان قصده وجه الله والدار الآخرة ، لكن هناك عوامل للنصر يجب أن تأخذوا بها وهي في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) قال ابن القيم : (ذكر الله سبحانه في هذه الآية خمسة أمور . الأول : الثبات عند لقاء العدو . الثاني : ذكر الله تعالى . الثالث : طاعة الله ورسوله ، فإن طاعة الله ورسوله سبب كل خير في الدنيا والآخرة . الرابع : عدم التنازع فإن التنازع سلاح للعدو . الخامس : الصبر . ثم قال رحمه الله تعالى : فقبة النصر مضروبة على هذه الأمور الخمسة ولهذا لما اجتمعت في الصحابة رضي الله عنهم ، فتحوا البلاد ودان لهم العباد ، ولما تفرقت في غيرهم ، فاتهم من النصر بحسب ما فاتهم منها) أ.هـ . أخرج البخاري عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " فالله الله بالتجارة الرابحة مع الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) فلا يتخلف عن الجهاد إذا دعي إليه إلا منافقٌ معلومٌ النفاق ، فالحذر كل الحذر من الإصغاء والالتفات إلى المخذلين المثبطين المنهزمين المتعايشين مع أعداء رب العالمين المتحاورين مع الكفار وما يلقونه من الشكوك والريب وأحسن وصف في هؤلاء وأمثالهم من المنبطحين ما قاله الشاعر :

إذا كثـــر الـــذباب علـــى طعـــام رفعـــت يـــدي ونفســـي تشتهـــيه
وتجتنـــــب الأســـــود ورود مـــــاء إذا كـــان الكـــلاب يلغـــن فيـــه

واعلموا أن من أعظم ما من الله به عليكم وإحسانه إليكم ، الجهاد في سبيل الله والحراسة والرباط فيه وإغاظة أعداء الله وإنزال الضرر والضيق بهم فيالها من مرتبة ما أعلاها ، ومواهب ما أشرفها وأسناها فكل ما يغيظ أعداء الله فتقربوا إلى الله بالقيام به سواء العدو الخارجي أو الداخلي المرتد ، وكل من لاقاكم في قتال عدوكم وجعل نحره دون نحر عباد الصليب فهو وإياهم في الكفر والقتال واحد قال تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) فهؤلاء جند الطاغوت يفدون الكفار بأنفسهم فهم في حملة واحدة التي دعا بها بوش في حملته الصليبية ولذا زيد في رواتبهم 25% للقضاء على الإرهابيين يعني الموحدين المجاهدين فاستحلوا دماءً زكيةً معصومةً إرضاءًً للكفار ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (وأما استحلال القتل باسم الإرهاب الذي تسميه ولاة الجور سياسةً وهيبةً وناموساً وحرمةً للملك فهو أظهر من أن يذكر) إعلام الموقعين ج4 ص530. فهاهم يتبعون أهل الإسلام فيستحلون دماءهم وأموالهم وليست للبيوت عندهم حرمة وهذا كله من أجل الصليب ؛ دليل ذلك ثناء الأمريكان على الدولة السعودية للقضاء والتعاون معهم في ذلك ، بل لما قتل خالد الحاج وإبراهيم المزيني – نسأل الله أن يتقبلهما – جاء وزير الخارجية البريطاني ويثني على هذا العمل للقضاء على الإرهابيين بل حتى حُزْن نايف وزير الداخلية على ما حصل في مجمع المحيا الذي يسكنه النصارى كان أشدَ حزناً من ضرب مبنى قوات الأمن قسم الطوارىء كما قال ذلك بعد ضرب قوات الطوارىء ولذا جعل جنده فداءً للنصارى ومما دل الدليل عليه كما بين الله ذلك في كتابه بأن الجند يتبعون لقاداتهم وأسيادهم ولمن أمروهم في عقوبات الدنيا والآخرة . قال تعالى : (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) وقال تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا) الآية وقال تعالى : (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) وقال تعالى : (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) ولذا يتبرأ بعضهم من بعض قال تعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ) قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره : " وتبرأ المتبعون من التابعين وتقطعت بينهم الوصل ، التي كانت في الدنيا ، لأنها كانت لغير الله ، وعلى غير أمر الله ، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له ، فاضمحلت أعمالهم ، وتلاشت أحوالهم وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين ، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها انقلبت عليهم حسرةً وندامةً ، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبداً ، فهل بعد هذا الخسران خسران ؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل ، ورجو غير مرجو ، وتعلقوا بغير متعلق ، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها . الخ . قال تعالى : (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهكذا القادة والسادة يضلون أتباعهم بمجرد أن دعوهم أو أعطوهم الأموال فخالفوا ما أمروا به من الأدلة والبراهين كل ذلك لمجرد الشهوة ومحبة العاجلة قال تعالى : (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) وقال تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) وغير ذلك من الآيات فوالله يا من يسمون برجال الأمن من المباحث والقوات الخاصة والطوارئ والشرطة وغيرهم إنكم تعلمون علماً يقيناً أنكم على باطل وأنكم في

قتالكم مَن تسموهم بالإرهابيين تعلمون أنهم على حق يريدون إخراج الكفار من جزيرة العرب ويريدون أن يغيروا الحكم بالطواغيت والتحاكم لهيئة الأمم الطاغوتية إلى أن يحكم في الأرض بشرع الله ويتحاكم إليه ، وتعلمون أنهم يريدون القضاء على كل معبود دون الله سواء كان من الحجر أو البشر ، وإزالة الظلم والقهر والاستبداد ، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة ، لا كما هو موجود الآن وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما يوجبه النظام ، وتعلمون أنهم في قتالهم لم يقاتلوا من أجل أرضٍ أو عصبيةٍ أو جاهليةٍ إنما يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فأبيتم إلا قتالهم فليس لكم والله إلا القتال وهم يتمنون الموت في هذا السبيل أشد من محبتكم الحياة كما هو من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته كما في حديث أبي بردة بن قيس أخي أبي موسى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اجعل فناء أمَّتِي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون " أحمد ج4 ص238. وكما قال تعالى : (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ) قال ابن سعدي رحمه الله تعالى : (فلا خاب من توكل عليه ، وأما من توكل على غيره ، فإنه مخذول ، غير مدرك لما أمَّل ، وقل للمنافقين الذين يتربصون بكم الدوائر : أي شيء تربصون بنا ؟ فإنكم لا تربصون بنا إلا أمراً فيه غاية نفعنا ، وهو إحدى الحسنيين ، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ، ونيل الثواب الأخروي والدنيوي . وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق وأرفع المنازل عند الله ، وأما تربصنا بكم . يا معشر المنافقين . فنحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ، لا سببَ لنا فيه ، أو بأيدينا ، بأن سلطنا عليكم فنقتلكم ، فتربصوا بنا الخير ونحن نتربص بكم الشر) . أ.هـ . أين عقولكم أيها الشرط ورجال المباحث ؟ كيف يستخف بكم هؤلاء الطواغيت ويجعلونكم شهداء الواجب أو الوطن ، هل ستنفعك هذه الألقاب إذا وضعت في قبرك ؟ هل ستنجيك من عذاب القبر وفتنته ؟ هل ستَثْقُل موازينك يوم القيامة بذلك ؟ هل سيكون سبباً لأخذ كتابك باليمين ؟ هل ستنجيك من عذاب الله أو ستكون سبباً لهلاكك وعذابك ؟ إذا سألك الله عن قتالك هذا هل ستقول من أجل الرئيس الأمريكي الذي دعا لقتال الإرهابيين ؟ أو من أجل بقاء عروش طواغيت آل سعود ؟ فكر في هذا جيداً هل هناك شهادة من أجل الواجب أو الوطن ؟ جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليُذكر ويقاتل ليُرى مكانُه ، مَنْ في سبيل الله ؟ فقال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " وفي صحيح مسلم من حديث جندب بن عبدالله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مَنْ قُتِل تحت راية عِمِّيَّة ، يدعو عصبية ، أو ينصر عصبية ، فقِتْلَةٌ جاهلية " فاحذر كل الحذر من هذه الأمور الوثنية الجاهلية ، فهذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسم وفتواه في القتل والقتال ، فاحذر من الفتاوى المضللة ، واحذر من استخفاف الطواغيت بك . قال تعالى : (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) قال ابن كثير رحمه الله : (استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له) . أ.هـ فبسبب فسقهم قيض لهم من يزين لهم الشرك والكفر والضلال والشر . فاتقوا الله وعودوا إلى دينكم ولا تذهب بكم الطواغيت وحب الدنيا أو الفتاوى المضللة التي تخرج على ما يوافق الطواغيت في حكمهم ولا تخرج إلا بإذن أسيادهم ، فاحذروا ما يوجب الهلاك الأبدي والشقاء السرمدي ، والطرد عن الله وعن بابه ، والخروج عن جملة أوليائه وأحبابه قال تعالى : (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) ولا تكن ممن قال الله

فيهم : (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ)

فاعلموا أن عملكم هذا من أعظم المظاهرة للكفار على المسلمين , والله عز وجل يقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ...) الآية وسأذكر لك قولين لأهل العلم فيمن وقع في أقل مما وقعتم فيه بكثير وحكموا بوجوب جهاده وكفره . قال الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى في رسالته في جهاد أهل حائل فقال : (الأمر الثالث أي الذي يوجب الجهاد , مما يوجب الجهاد لمن اتصف به : مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين , بيد أو بلسان أو بقلب أو مال , فهذا كفرٌ مخرجٌ من الإسلام ,فمن أعان المشركين على المسلمين , وأمد المشركين من ماله , بما يستعينون به على حرب المسلمين اختياراً منه , فقد كفر) . الدرر السنية ج9ص292 , فانظر هذا الإمام رحمه الله ماذا يقول كيف لو أدرك هذا طواغيت آل سعود والشرط والمباحث وما يقومون به من النصرة لأهل الصليب والدخول في طاعتهم وإيوائهم , وخذلان أهل التوحيد , وتخطئتهم وسبهم وعيبهم والاستهزاء بهم , وتسفيه رأيهم وحبسهم وقتالهم بسبب ثباتهم على التوحيد والصبر عليه والجهاد فيه . فهل يتوقف هذا الإمام رحمه الله بتكفير هؤلاء وقتالهم بل سيجعل قتالهم أولى من اليهود والنصارى والله المستعان . وهذه فتوى من عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى قال: (وهؤلاء الذين قاموا في عداوة أهل التوحيد , واستنصروا بالكفار عليكم , وأدخلوهم إلى بلاد نجد , وعادوا التوحيد وأهله أشد العدواة , وهم (الرشيد) ومن انظم إليهم من أعوانهم , لا يشك في كفرهم , ووجوب قتالهم على المسلمين , إلا من لم يشم روائح الدين , أو صاحب نفاق , أو شك في هذه الدعوة الإسلامية وجميع أهل الباطل يحسنون باطلهم بزخرف القول , ولهم من يزخرف لهم , ويجعل باطلهم في صورة الحق قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)) الدرر السنية ج9ص83. فانظر إلى كلام هذا الإمام رحمه الله وانظر ما يفتى به اليوم وما يلقى على المنابر من تزيين الباطل وجعله على صورة الحق فلا حول ولا قوة إلا بالله . وأما أصل عمل الشرط فقد تبرأ أهل العلم من الأعمال التي تقومون بها, فقد كتب محمد بن عبداللطيف وصالح بن عبدالعزيز ومحمد بن إبراهيم إلى عبدالعزيز . وذكر بعض الأعمال كاللباس العسكري والموسيقى فقال وهي كلها من شعائر الإفرنج والترك والأعاجم الذين هم أعداء هذه الملة الإسلامية , ولم يعهد عند أحد من أئمة الإسلام المتقدمين والمتأخرين , الذين هم القدوة , وليس القدوة قوانين الإفرنج والترك والأعاجم , ولا التشبه بهم من دين الإسلام (ثم قالوا بعد ذلك ونحن نبرأ إلى الله أن نوافق على هذه الأفعال , وعدم السكوت عن الإنكار , والبراءة منها ظاهراً وباطناً , ونبرأ إلى الله من فعلها , وإقرارها , لأن إقرارها من إقرار شعار الكفر , والشرك) . الدرر السنية ج15ص366365 . وقد عُقِدَ في هذا المجلد بابٌ كلُه عن الشرط فليراجع ، هذا كلامُهم من ناحية اللباس والموسيقى فكيف بالتحية العسكرية وتحية العلم والطاعة العمياء والمحاكم العسكرية وغيرها وكلُ هذه أفعالٌ كفريةٌ طاغوتيةٌ قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى : (ووضع اليد على الجبهة مثل السجود ويدخل في الشرك) فتاوى بن إبراهيم ج1 رقم 47 ص79 . وقد كتبت هذه الصفحات نصرةً للتوحيد وأهل الجهاد وبيان ما عليه عمل الطواغيت وجنودهم قال تعالى : (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وقال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) وقال تعالى : (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا

بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محبة الله يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي جعل محبته حياة القلوب ، ونعيم الأرواح ، وبهجة النفوس ، وقرة العيون ، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) وأشهد أن محمداً عبده وخليله وصفيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين تنافسوا في طلب محبة الله فنالوها ، أما بعد :

فحقيقة العبودية : هي الحب التام مع الذل التام والخضوع للمحبوب ، فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة ، ولما كانت محبة الله بهذه المكانة تنافس من أجلها المتنافسون , وإليها شخص العاملون , وإلى علمها شمر السابقون ... وهي الحياة التي من حُرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عُدمه حلت بقلبه جميع الأسقام وهي روح الإيمان والأعمال ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب .

يالها من نعمة على المحبين سابغة ، أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم : حي على الفلاح ،وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح ، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح.

تأخر البطالون ، وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمناً ؟ فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد قومٍ اتصفوا بصفات المؤمنين الكمّل قال تعالى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) وهذه الصفات الحميدة الشريفة لها رجال ملأ الله قلوبهم صدقاً ويقيناً فقال عنهم : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله مما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رميه بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) متفق عليه .

ففرق والله بين من صدقوا ما عاهدوا الله عليه وبين من لو خرجوا للقتال لأبغض الله خروجهم لإفسادهم بين صفوف المجاهدين قال تعالى (وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) قال القرطبي : (تسلية للمؤمنين في تخلف المنافقين عنهم . والخبال : الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف) .أهـ فلا تهنوا إخواني المجاهدين ولا تلتفتوا لهؤلاء المخذلين الذين يلمزونكم ويعيبون جهادكم كحال الذين يلمزون المطوعين منكم بالصدقات وهاهم اليوم يتهمونكم حتى بالسرقات وقطع الطريق والاستيلاء على السيارات وسفك الدماء وترويع الآمنين ، أما يرى ويسمع هؤلاء ماذا يفعل جند الطاغوت حماة الصليب بهؤلاء المجاهدين ؟ هلا تكلموا عن هؤلاء الطواغيت وجندهم كيف سفكوا الدماء واستحلوا الأموال فأظهروا الكفر البين الواضح المستبين وأخافوا حتى الحجيج إلى بيت الله الحرام فتأخر من شرق الجزيرة إلى مكة ما تخاف إلى الله

وأمن الطرق اليوم هلا تلفظت بكلمة في تبيين ما يحصل من الشرك في المدينة ومكة وما يحصل من موالاة الكفار أما يسعك السكوت إذا جبنه عن قول الحق كيف يسعك عند الله أن تبرأ من هؤلاء المجاهدين ، إذاً توالي من ؟ ثم أقول لك يا من تكلم بهذا الكلام :هل تبرأ النبي ρ من المجاهدين لما قتل خالد τ الدماء المعصومة من بني خزيمة ؟ هل تبرأ مما صنع أم جعله على قيادة المسلمين ؟ أم هل تبرأ النبي ρ من المجاهدين لما فروا من الزحف في أحد وحنين وغير ذلك مما حصل في جيش محمد ρ وخيار الأمة ؟ بل بعضهم قتل بعضاً يوم أحد والخطأ وارد على المجاهدين وغيرهم لكن يجب نصرهم وتأييدهم وإيوائهم ويقال للمخطئ أخطأت ولا يتبرأ منه فاحذر من تلاعب الشيطان في ذلك فإن له مصائد عظيمة أخرج أحمد في مسنده وأبو داوود من حديث جابر بن عبد الله وأبي طلقة بن سهل الأنصاريين يقولان : قال رسول الله ρ " ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه عرضه ، إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته وما من امرء ينصر امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته " فهذا وقت نصرة المجاهدين وتأييدهم والدفاع عنهم لا خذلانهم و التبرؤ منهم .

هل تتمنى أن يكون خصمك خيار الناس بنص رسول الله ρ فاحذر أن تكون ممن قال فيهم (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) أعاذني الله وإياك من هذا الصنف ولنسعى في نصرة هذا الدين ولو ذهبت دماءنا فإن هذه هي علامة المحبة .

ولما كانت المحبة التامة ميل القلب بكليته إلى المحبوب كان ذلك الميل حاملاً على طاعته وتعظيمه ، وكلما كان الميل أقوى : كانت الطاعة أتم ، والتعظيم أوفر ، وهذا الميل يلازم الإيمان ، بل هو روح الإيمان ولبّه ، فأي شيء يكون أعلى من أمر يضمن أن يكون الله سبحانه أحب الأشياء بالتعظيم , وأحق الأشياء بالطاعة ؟

فلما أكثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى , فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي ، تنوَّع المدعون في هذا فلا تقبل الدعوى إلا ببينة (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ)

فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع النبي ρ وعلامة هذه أحبكم ألي من قاتل في سبيلي فقال : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) ، وعن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا بيننا , فقلنا أيكم يأتي رسول الله ρ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله ؟ وهِبْنا أن يقوم منّا أحد , فأرسل رسول الله إلينا رجُلاً رجُلاً , حتى جمعنا , فجعل بعضنا يشير إلي بعض , فقرأ علينا رسول الله ρ (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) إلى قوله (كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ) قال : فتلاها من أولها إلى آخرها) رواه أحمد والترمذي بسندٍ لا بأس به , روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس τ قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه , فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان فيه , وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به , فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره ، فقال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)

وبهذا يتبين أن محبة الله توجب المجاهدة في سبيله قطعاً ، فإن من أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله ، وأبغض ما يبغض الله ، ووالى من يواليه الله ، وعادى من يعاديه الله ، لا تكون محبة قط إلا وفيها ذلك بحسب قوتها وضعفها ، فإن المحبة توجب الدنو من المحبوب ومحابه ، والبعد عن مكروهاته ، ومتى كان مع المحبة بقدر ما يبغضه المحبوب فإنما تكون تامة .

فتأخر أكثر المدعين للمحبة فقام المجاهدون , فقيل لهم : إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم , فقال :(إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لما عرفوا عظمة المشتري ، وفضل الثمن , وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة فرأوا من أعظم الغبن بيع مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في أبدٍ لا يزول ولا ينفذ بصبابة عيش , وإنما هو كأضغاث أحلام , أو كطيف زار في المنام , مشوبٍ بالنغص ممزوجٍ بالغصص , وإن أضحك قليلاً أبكى كثيراً , وإن سر يوماً أحزن شهوراً , آلامه تزيد على لذاته , وأحزانه أضعاف مسراته , أوله مخاوف وآخره متالف . وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة , وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة , إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً , وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً . وهكذا عقد أهل المحبة البيع بالتراضي قالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد وسلموا المبيع , قيل لهم : مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم ما كانت وأضعافها معاً (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)

فحي على جنات عدن بقربهم — منازلك الأولى بها كنت نازلاً
ولكن سباك الكاشحون , لأجل ذا — وقفت على الأطلال تبكي المنازلا
فدعها رسوماً دارسات , فما بها — مقيل , فجاوزها , فليست منازلا
رسوم عفت يفنى بها الخلق كم بها — قتيل , وكم فيها لذا الخلق قاتلاً ؟
وخذ يمنة عنها على المنهج الذي — عليه سرى وفد المحبة آهلا
وقل : ساعدي , يا نفس بالصبر ساعة — فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة , ثم تنقضي — ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلاً

أما علامة المحبة فنذكر منها خمسة :

العلامة الأولى :إتباع الرسول ρ في كل أقواله وأفعاله وأحواله قال تعالى :(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وفي هذا إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها ودليلها وعلامتها اتباع الرسول ρ وفائدتها وثمرتها محبه المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية , فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها وبحسب نقصانه يكون نقصانها فبحسب هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معاً ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن في أن تحب الله , بل الشأن في أن الله يحبك , ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت خليله ظاهراً وباطناً , وصدقته خبراً , وأطعته أمراً , وأجبته دعوةً , وآثرته طوعاً , وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبته غيرة عن الخلق بمحبته وعن طاعة غيرة بطاعته , وإن لم يكن ذلك فلا تتعنَّ وارجع من حيث شئت فالتمس نوراً فلست على شيء فقد قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) وقال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ρ : "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال :

من أطاعني دخل الجنة , ومن عصاني فقد أبى " وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ρ : " دعوني ما تركتكم , فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ,فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه , وإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم " وهذا لفظ البخاري ، وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس τ قال : (ليس منا أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ρ) أما العلامات الأربع الباقية فقد جمعها الله تعالى في قوله :(فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ) .

العلامة الثانية :(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) معناها : أرقاء ,رحماء , مشفقين عليهم , عاطفين عليهم , قال عطاء : (كالولد لوالده , والعبد لسيده)وأن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ومواليه .

قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقال تعالى :(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ρ :(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وفيهما أيضاً من حديث النعمان بن بشير قال :قال رسول الله ρ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكي منه تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى" .

وفي لفظ عند مسلم : " المسلمون كرجلٍ واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله "

فانظر أيها المسلم كيف أصبحت اليوم الشدة على أولياء الله خاصة إذا كان مجاهداً الكفار أو من يكون متعاوناً معهم فدماؤهم مسفوكة , وأموالهم منهوبة وبيوتهم ليس لها حرمة ,فاستُبيحت دماؤهم في الحل والحرم , واتهموهم بأنهم يريدون الفساد في الأرض وأنهم يسفكون الدماء ويروعون الآمنين , وغير ذلك كما قال إخوانهم المشركون عن النبي ρ "بأنه سفه أحلامنا وفرّق جماعتنا , وقطع أرحامنا , وسب ديننا , وهكذا من صار في هذا الطريق لا بد أن يلمز ويفتري عليه وكان آخر هؤلاء قبل ما يقارب ثلاثة قرون المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قام عليه كل من حوله ، ولما قام بالتوحيد والجهاد قالوا عنه : بأنه يستبيح الدماء وأنه خارجي وغير ذلك من الألفاظ , حتى أفتى فيه علماء السلاطين في الحرمين في زمانه حيث قالوا : إن من أقر بالتوحيد فإنه يقتل في الحل والحرم وها هي هيئة كبار العلماء اليوم يفتون بأنهم مع الدولة في كل ما تفعل بهؤلاء المجاهدين الذين سموهم في بيانهم بالإرهابيين , لماذا هذا كله ، لماذا لا توقفون هؤلاء الحكام الخونة الذين باعوا دينهم وأرضهم وخيرات بلادهم فجعلوا هؤلاء الصليبيين يفعلون ما يشاءون في بلاد الجزيرة !!! لماذا لا تمنعون هؤلاء الحكام المرتدين من حمايتهم الشرك والمشركين في أفضل البقاع !!! لماذا لم تأخذوا على أيديهم في وقوعهم في نواقض الإسلام !!! لماذا لم تردعوهم عن الظلم والإجرام من قتل الموحدين ومطاردتهم ؟!!كم في السجون من العلماء وطلاب العلم ؟!!كم فيها من الصالحين والعباد والدعاة المصلحين وما يُلاقون من أنواع التعذيب والأذى مما لا يخطر على بال إلا من وقع في هذا التعذيب أو شاهده .

أيها العلماء أين غيرتكم على دينكم ، وعلى الدماء الزكية التي تُسفك ، وعلى التعذيب الذي يجري في السجون ، أما تتمعر وجوهكم لذلك قال حمد بن عتيق رحمه الله :(فلو قُدر أن رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها وهو مع ذلك لا يغضب لله ولا يتمعر وجهه ولا يحمر فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر فهذا الرجل من أبغض الناس إلى الله وأقلهم ديناً وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه).

السجون اليوم أيها العلماء قد امتلأت بخيار الأمة (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) .

كيف انعكست الآية وأصبحتم أيها العلماء يا من تنتسبون للعلم ووضعتم للإفتاء أذلة للمرتدين والطغاة المجرمين أعزة على أولياء الله المؤمنين (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) ، فتسعون لإرضاء رجل الأمن الأول ، وصدقوا والله فهو رجل أمن الصليبيين الأول حيث قام بحمايتهم في الجزيرة أشد من حمايتهم لأنفسهم في بلادهم والله المستعان .

العلامة الثالثة : (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) أي : متعززا على عدوه وخصمه الكافر حيث يكون المؤمن على الكافرين كالأسد على فريسته كما قال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) فأمر الله تعالى نبيه ρ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، كما قال تعالى :(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار ، غضوباً عبوساً في وجهه ، وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) فقوله(وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً) أي : ليجد الكافر منك غلظة في قتالك له فإن من صفة المؤمنين الكُمّل أن يكونوا غليظين على أعدائهم من الكفار ، فمغايظة الكفار محبوبة للرب مطلوبة له فموافقته فيها من كمال العبودية فمن تعبد الله بمراغمة عدوه ، فقد أخذ من الصديقية بسهمٍ وافر قال تعالى :(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) وغير هذه من الآيات الكثيرة ، قال ρ :" لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه " رواه مسلم من حديث أبي هريرة τ ، وعن عبد الله بن عمرو τ أن رسول الله ρ قال: " يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح " رواه الإمام أحمد .

روى الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب τ وثب مع أبي جندل τ في قصة صلح الحديبية فجعل يمشي إلى جنبه هو يقول : (اصبر أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب) ، وقال جابر τ : (أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف) ، قال الإمام أحمد كما في مسائل ابن هانئ : (وكل من قتل مشركاً فهو على حق) ، فانظر إلى هذه النصوص وانظر إلى واقعنا اليوم تجد البُعد العظيم عن هذا المنهج القويم ، ولربما تسمع ذلك من أهل العلم فمنهم من يتباكى على قتلى الكفار ويشجب ويستنكر ولم يُسمع له شجبٌ ولا استنكار في قتل أهل الإسلام وانتهاك أعراضهم فما هذا إلا لعظم فاجعته في الكفار وهوانها عليه في المؤمن وهذه غاية النفاق وهي المسرة بانخفاض دين الرسول ρ والكراهية لانتصار دين الرسول ρ وهذا كما قال الرسول ρ من حديث عبد الله بن عمرو τ الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره :" إن أكثر أمتي قراؤها " ، أما الخطباء وخاصة خطباء الحرمين إلا من رحم الله منهم فما تدري أن هذا الخطيب يخطب في بلاد الحرمين أم أنه قسيسٌ يخطب في كنيسة روما !!! لاستنكاره ولربما بُكائه على جيف عُباد الصليب ، وأما الحكام الخونة الذين يدعون الإسلام والإسلام منهم براء فإنهم يحمون الوحدات الصليبية أشدُّ حماية من مساكنهم ، وخوفهم على الكفرة أشُّد من خوفهم على أنفسهم ، وقد بان ذلك في تعليق طاغوت آل سعود وزير الداخلية (أبو لهب هذا الزمان) نايف بن عبد العزيز إثر دمعاته بعد ضربة المحيا ، وقد صرح هو بعد ضربة مبنى الأمن العام أن ضربة المحيا أشدُّ عليه من ضربة الأمن العام (هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ) فتباً لك يا أبا لهب وسترى بإذن الله ما يسوؤك .

وما أنتم يا جنود الطاغوت ، ويا حُماة الصليب ، ويا من باع دينه ونفسه بعرضٍ من الدنيا أما آن لكم أن تفيقوا من غفلتكم وتعلموا مكر أسيادكم بكم ، فتعلنوها مدويةً في وجوه الطواغيت ليسلم دينكم كما سلم دين السحرة لما رأوا الآية التي ظهرت

على يدي موسى عليه السلام فقالوا مُعلنين لطاغوت فرعون (آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) ، وحين هددهم بالصلب والتقطيع قالوا له (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) فاربؤوا بأنفسكم لا تكونوا حطب جنهم وأنتم لا تشعرون .

العلامة الرابعة : (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) بالنفس واليد واللسان والمال ، وهذه شعيرة عظيمة تدلُّ على أن من قام بها فهو محب لله قال تعالى :(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) وقال تعالى :(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) والآيات في ذلك كثيرة , وأما الأحاديث ففي الصحيحين أن النبي سئل : أي العمل أفضل ؟ فقال : " إيمانٌ بالله وجهاد في سبيله" , وفيهما أيضا عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله فقال : دلني علي عمل يعدل الجهاد قال : "لا أجده " قال : "هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ " قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : (إن فرس المجاهد ليستن من طوله فيكتب له حسنات) , وعن عبدا الله بن أبي أوفي رضي الله عنهما أن رسول الله ρ قال : "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف "رواه البخاري , وعن أنس قال : قال ρ :" جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "رواه الإمام احمد وأهل السنن بسند صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : (والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من تحصر ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان , وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة , ومن الصلاة التطوع , والصوم التطوع ,كما دل عليه الكتاب والسنة ..وهذا باب واسع ,لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها , مثل ما ورد فيه فهو ظاهر عند الاعتبار , فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا , ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة , فإنه مشتمل على محبة الله تعالى والإخلاص له , والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال , ممالا يشتمل عليه عمل آخر , والقائم به بين إحدى الحسنيين دائماً إما النصر والظفر , وإما الشهادة والجنة ، وإن الخلق لا بد لهم من محيا وممات , ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة وفي تركه ذهاب السعادتيين أو نقصهما فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتهما فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد وقد يرغب في ترقية نفسه حتى يصادفه الموت فموت الشهيد أيسر من كل ميتة وهي أفضل الميتات).

العلامة الخامسة : (وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ)فلا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لومة اللائمين ، ولا يردهم عن ذلك رادّ ، ولا يصدهم عنه صادّ ، فلا يضرهم عذل العاذلين ، ولا انبطاح المتعايشين ، ونعق المنهزمين ، وفتاوى المخذلين ، وإرجاف القاعدين ، وهذه علامة صحة المحبة فكلَّ مُحب يأخذه اللوم عن محبوبه فليس بمُحب على الحقيقة ، قال تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) وقال تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت τ قال : (بايعنا رسول الله ρ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا نُنازع وأن نقوم بالحق حيثما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم) .

وأختم الكلام بالتحذير من أن تقع أيها المسلم في المحبة الشركية التي قال الله عنها : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ) فأخبر أن من أحب من دون الله شيئاً كما يُحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً فإن هذا ندٌّ في المحبة فذم أهل الشرك بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يُخلصوها لله كما قال تعالى : (تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ومعلوم أنهم لم يُسووهم برب العالمين على الخلق والرزق وغير ذلك من الربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم كما في قوله تعالى :(ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) أي : يعدلون به غيره في العبادة التي

هي المحبة والتعظيم ، نسأل الله المولى جل وعلا أن يَمن علينا بعبودية المحبة والخوف والرجاء ، ويجعلنا ممن يُحبهم ويُحبونه وصلى الله وسلم على خليله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

الاستنصار بالله يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي حمد نفسه على عدم اتخاذ الولد المتضمن لكمال صمديته وغناه وملكه وتعبيد كل شيء له ، وحمد نفسه على عدم الشريك المتضمن تفرده بالربوبية والإلهية ، وتوحده بصفات الكمال التي لا يوصف بها غيره ، فالحمد في الأولى والآخرة لمن لا يغلبه غالب ، ولا يفوته هارب لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار ، فمن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور ، وعدوه مخذول مقهور ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، غلب كل شيء ، وقهر كل شيء ، الحكيم في أقواله وأفعاله شرعاً وقدراً .
وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نصره الله بالرعب مسيرة شهر القائل : " بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض " صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين استنصروا بربهم فنصرهم ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين ، أما بعد:
فالاستنصار بالله : هو طلب النصر والتأييد والمدد من الله قال تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فيا أهل الجهاد استنصروا بالله فإنه ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس ، ولذا شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض ، فلا تهنوا للمز الحاقدين ولا انبطاح المتعايشين ولا تخذيل القاعدين ولا استرهاب عدوكم فإن حزب الله هم الغالبون وحزب الشيطان هم الخاسرون فهذا نوح عليه السلام لما استنصر بربه نصره ، قال تعالى : (وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) وهكذا استنصر بربه لوط فقال : (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) فاستجاب الله له فقال : (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)وهكذا استمر نصر الله لرسله وأوليائه وتحديهم لأقوامهم فهذا هود وتبرؤه من قومه و تحديهم قال : (إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وهذا إبراهيم هدده قومه وخوفوه بآلهتهم فرد عليهم تهديدهم وتخويفهم بقوله : (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) **وهل آلهتكم تنفعكم وتنصركم أو تنصر نفسها وتدفع عنها الضر ؟ فقال تعالى** : (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) فلما بذل رسله عليهم الصلاة و السلام أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبّوهم أعاضهم الله من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته ، وجعل لهم أطيب الثناء بين خلقه فأخلصهم بخالصةٍ ذكرى الدار .
وأما أقوامهم الذين كذبوا الرسل فقد أبادهم الله ونوّع في عذابهم وانتقم منهم ، فقال تعالى : (فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فاستمر إرسال الرسل في كل أمة وعدم استجابة أقوامهم لهم إلا القليل منهم ، ثم أطبق الشرك أقطار الأرض **في اليهود والنصارى والمجوس والعرب والهند إلا بقايا** من أهل الكتاب واستطار شره في الآفاق من المشرق إلى المغرب ، روى مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ε قال : " ألا إن ربي قال : خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركو بي مالم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم

عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " ثم بعث الله محمداً ε بالحنيفية المحضة والتوحيد الخالص دين إبراهيم عليه السلام وأمره أن يدعو الخلق كلهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فكان يدعو إلى ذلك ثلاث سنين ولم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة ، وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته ، يؤذى غاية الأذى ، ثم أمر بإعلان الدعوة وإظهارها وقيل له : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين يطردون ويشردون كل مشرد ، و يهربون بدينهم كما هاجرو إلى الحبشة وكان منهم من يعذب في الله وفيهم من قتل وأما النبي ε لما جهر بالدعوة ، وذم آلهتهم التي تعبد من دون الله وذم من عبدها وأخبر أنه من أهل النار ثار المشركون واجتهدوا في إيصال الأذى إليه وإلى أتباعه ، ولذا قال ε : " لقد أُخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال " رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث أنس ، بل كان يعرض نفسه في المواسم ويقول : " من يمنعني حتى أبلغ رسالات ربي ؟ فإن قريشاً منعوني أن أبلغ رسالات ربي " وكان من أشد ما لقي بأبي وأمي ε منهم يوم العقبة ، إذ عرض نفسه على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبه إلى ما أراد ، وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ε ، قال : رأيت عقبة بن أبي معيط ، جاء إلى النبي ε وهو يصلي ، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ، قال : " أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم " واستمر في دعوتهم وهم استمروا في إيذائه ، قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) وجاء في الصحيحين عن عائشة في قصة بدء الوحي لما أخبر النبي ε ورقة بن نوفل خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ε : " أو مخرجي هم " قال : (نعم ،لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) ، وكان كلما آذاه الأعداء إذا دعاهم إلى مولاهم رجع إلى مولاه فتسلى بعلمه وقربه منه ، واشتغل بمناجاته وذكره ودعائه فنسي كل ما أصابه من الألم من أجله ، ما مقصود النبي ε إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له وما يبالي ما أصابه في الدعوة ، إذا وحّد معبوده حصل مقصودُه ، إذا عبد محبوبه حصل مطلوبُه ، إذا ذكر ربه رضي قلبه , وأما جسمه فلا يبالي ما أصابه في سبيل الله ما يؤلمه أو ما يلائمه ، استمر على ذلك ثلاثة عشر سنة ثم أمر بعد ذلك بالهجرة إلى المدينة وأمر بالقتال أخرج أحمد والنسائي والترمذي عن ابن عباس قال لما أُخرج النبي ε من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فنزلت : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فعرفت أنه سيكون قتال ، قال ابن عباس : (فهي أول آية نزلت في القتال) فظهر الإسلام بعدما أذن بالقتال وعز ، وصار أهله ظاهرين كل الظهور ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بعد فتح مكة وأظهر الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة ، وعن الحسن قال : (لما فتح رسول الله ε مكة قالت العرب : أما إذ ظفر محمد بأهل مكة ، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فدخلوا في دين الله أفواجاً) وهل يظهر الإسلام ويعز أهله إلا برفع راية الجهاد وبعد الفتح أقبلت الوفود في الدخول في الإسلام وسمي عام الوفود وكان النبي ε حينما كان في مكة في أول الإسلام لم يجد من يؤويه ، بل رموه عن قوس واحدة فحينما سل السيف وأزال الرؤوس عن الأجساد دخل الناس في دين الله طوعاً أو كرهاً فعن أنس أن رسول الله ε قال لرجل : " أسلم " قال : أجدني كارهاَ قال : " أسلم وإن كنت كارهاً " رواه أحمد بسند صحيح ، وقال لعدي بن حاتم : " أسلم تسلم "كما عند أحمد ، وروى البخاري عن عمرو بن سَلِمة قال : (كانت العرب تَلوَّمُ بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن يظهر عليهم فهو نبيٌ صادق ، فلما كانت

وقعة أهل الفتح ، بادر كلُّ قوم بإسلامهم ،وبدر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبي ε حقاً) التَلوُّم هو الانتظار و التلّبث ، قال ابن عبد البر : لم يمت رسول الله ε وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الإسلام بعد حنين والطائف ، منهم من قدم ومنهم من قدم وفده . اهـ فكل من نصر دين الله ورفع راية الجهاد اتسعت رقعة الإسلام على يديه ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، قال تعالى : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) أما ما عليه المثبطون المخذولون بأن الجهاد سبب تراجعٍ للدعوة وإغلاق المؤسسات الدعوية وضيق على الناس وسجن الكثير من طلبة العلم والدعاة وكثرة نقاط التفتيش وإلى غير ذلك من الأمور التي فيها معاناة فهذا لابد منه فإن النبي ε ومن معه حصل لهم من الشدة بعد غزوة بدر أشد مما كان قبل فمن ذلك لم يستطع أحد منهم الذهاب للعمرة و الطواف بالبيت بل ذهبت أنفس ولم تؤمّن الطرق وأوذي المسلمون في مكة وزيد في تعذيبهم وضاقت المعيشة ورمتهم العرب عن قوس واحدة وتكالبوا عليهم يوم الأحزاب ، وفي الصحيحين عن حذيفة τ قال:(قال النبي ε :" اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس " فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل ، فقلنا : نخاف ونحن ألف و خمسمائة ، فلقد رأيتنا ابتلينا ، حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف) هذا لفظ البخاري.

وهذا طريق الرسل وأتباعهم قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) روى البخاري عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله ε ، وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : "كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل نصفين ويمشط بأمشاطٍ من حديد مادون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون " إذاً لا خيار لك إلا بالقيام بالجهاد ، قال تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ¯ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وبهذا تعود للأمة كرامتها وعزها وهذا أمر معروف حتى عند الأعداء ، قال هرقل لما سأل أبو سفيان : هل قاتلتموه ؟ قال : نعم قال: كيف كانت الحرب بينكم ؟ قال : سجالاً ، يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى ، قال : وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة ، قال ابن القيم في الفوائد : يا مخنث العزم أين أنت والطريق طريق تعب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورمي في النار الخليل ، وأضجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ، ولبث في السجن بضع سنين ، ونشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ، وقاسى الضرب أيوب ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج أنواع الفقر والأذى محمد صلى الله عليه وسلم .

فيا أهل الجهاد عليكم بالاستنصار بربكم فهو حقيقة التوكل والامتناع به ، والاحتماء به وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه ، وينصره ويدفع عنه ، والله يدافع عن الذين آمنوا فيدفع عن العبد المؤمن إذا استنصر به كل سبب يفضي به إلى العطب ، ويحميه منه ، وينصره على عدوه ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) واعلم أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة قال تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) وقد أوجب الله على نفسه تكرماً وتفضلاً بنصر المؤمنين ، قال تعالى : (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) وليعلم المؤمن أنه ليس هناك نصر إلا من عند الله ليس بالقوة ولا بالكثرة فكم من فئة قليلة تغلبت وانتصرت على أكبر قوة بإذن الله وشاهد ذلك ما نسمع ونرى وما النصر إلا من عند الله قال تعالى : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ¯ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ¯ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) فأهل الجهاد اليوم أظهر الله لهم النصر في كل موطن وهاهم أسود الجزيرة أيدهم الله بالنصر المتعاقب فلله الحمد والمنة ومن آخرها سرية القدس التي

في حقيقتها آية من آيات الله ونصر عظيم وما قاموا به من اغتيالات مباركة لهؤلاء الخبراء من الأمريكان فاشكروا نعمة الله عليكم ، وما عند الله خير وأبقى فاثبتوا على طريقكم واسألوا الله المزيد ، وأنا أعلمُ أن القريب والبعيد قد حاربكم وتبرأ منكم ممن يدعي العلم وغيره فهذه فتاواهم الجائرة آخرها سخفاً وحماقة وزوراً ما أصدرته اللجنة الدائمة فيكم حيث ذكرت بأن أعمالكم أمر محرم وهو أشد أنواع الظلم والاعتداء لما فيه من إخلال بالأمن وسفك للدماء المعصومة وترويع للآمنين وغير ذلك قال تعالى :(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ) متى علم أن الجهاد وقتال الصليبين والمرتدين من أشد أنواع الظلم، ما أشبه هذه المقولة بمن قال : (إِنِّيَ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)فهلا تكلمتم عن أنواع الظلم من الكفر فما دونه من السجون وأكل أموال الناس بالباطل ، وقتل النفوس ، وكل أنواع الفساد ، التي تقوم هذه الدولة به وبحمايته، أم أنها دولة معصومة فهل أفتيتم بفتوى واحدة تخالف ما عليه الدولة في سياستها وغيره ، أو أن الأمور التي ذكرت ليست منكرات ، أو أنكم من عظم ما أشربت قلوبكم من الفتن ، أصبح المعروف عندكم منكراً والمنكر معروفاً ، وأن المعروف ما تريده الدولة والمنكر ما تعاديه ، فأصبحت فتواكم تابعةَ لسياسية هؤلاء الطواغيت ، ليكن غضبكم إذا انتهكت محارم الله لا تغضبوا إذا ذلّ وقهر الصليب والمرتدون لكن كما قال صلى الله عليه وسلم : " وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين "

وهـــــل أفســــد الـــــدين إلا الملـــــوك وأحبـــــــار ســـــــوء ورهبانهـــــــا

فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما ما صدر من الشئون الإسلامية وهو الأمر بالقنوت على الفئة الباغية فسبحان الله يمنعون القنوت على اليهود والنصارى ، هل القنوت عليهم ليس من مقتضيات وشروط النوازل الشرعية الذي ذكرتموه في خطابكم للأئمة ؟ أم أن الشرع أصبح ألعوبة بأيدي هؤلاء المجرمين حيث يأمرون بالقنوت على المجاهدين ؟ ما أعجب هذا الزمان الذي نجد فيه أنواع الضلال باسم الشرع ، ثم إننا نوصي جميع الأئمة بالقنوت على الكفار والمرتدين فطالما منعتم من ذلك فاستغلوه وهذا الذي ظهر ولله الحمد والمنة من كثير من الأئمة ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله قال محمد بن كعب القرظي : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به : من مكر أو بغي أو نكث وتصديقها في كتاب الله (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) (إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم) (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) ، وأما من يدعو على المجاهدين فإن النبي ε يقول : " يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم) رواه مسلم عن أبي هريرة .

أما خطابات الطاغوت عبد الله بن عبد العزيز فقد أعيا خطابه مما فيه من الفصاحة و البلاغة قواميس اللغة وفصحاء العالم فأصبح أضحوكة ولله الحمد و المنة فأنصحه أن يكثر من إلقاء الخطابات التي أصبحت تسلية ومتعة للمجاهدين أو أنه إذا أراد أن يلقي خطاباً أن يلقيه بالإشارة فاللبيب بالإشارة يفهم ، وأما أبولهب هذا الزمان نايف بن عبدالعزيز لما شَرِق بالمجاهدين وبُحَّ حلقُه من كثرة ما يلهث بقوله :" سنصل إليهم " يعني المطلوبين تسلّط على العلماء والدعاة وزجهم في السجون فيقال له : (فصبر جميل) سيصلون إليك هؤلاء المطلوبين بإذن الله عما قريب لتذوق منهم درساً تكون فيه عبرة لغيرك إن شاء الله ، وأما تهديد الحكام عبيد عباد الصليب للمجاهدين فإن المجاهدين لا يضرهم ذلك بل يزيدهم إيماناً وتسليماً ، ويقولون حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم اكفناهم بماشئت .

و أخيراً وصية لكل مؤمن :

أنه توجد كل الديانات الآن في جزيرة العرب فكن سبباً لإخراج الكفار منها حيث تقوم باغتيالهم فإنهم ليس لهم عهد ولا ذمة واعلم أن قتلك لهم سيكون بإذن الله سبباً لفكاكك من النار قال ε :" لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً " رواه مسلم عن أبي هريرة . واحرص أن يكون من الأمريكان أو الأوربيين فإن دمائهم أرغب لسفكها حيث أن ذلك مع تطهير الجزيرة من الكفار أيضاً يكون سبباً لانهيار الاقتصاد الأمريكي لأنك [لو بصقت في وجه أمريكي !] لارتفع سعر البترول ولله الحمد والمنة ، قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) وقال تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) حتى لو ذهبت الأرواح وبذلت الأموال فإن في قتلهم تطهير للأرض وللذنوب وتقليل للشر ، قال تعالى : (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) فوجودهم بين أظهر المسلمين وخاصة في الجزيرة فتنة عظيمة ومما يسر ما نسمع به بين الفينة و الأخرى عمليات ناجحة لاغتيال هؤلاء الكفار فتمتعوا رحمكم الله بقتلهم فإنهم يسكنون بجواركم والتمسوهم في الأسواق وفي طرقكم وفي الشركات وغير ذلك ثم أوصي بجعل مخازن في بيوتكم للأسلحة فإن شرائها خاصة في هذا الزمن أهم من شراء الكماليات والسيارات ، قال تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) هذا وأسأل المولى جل وعلى أن يجعلنا وإياكم ممن قام بنصرة دين الله واستنصر به فنصره و أن يمكننا من رقاب أعدائنا وأن ينصر دينه ويعلي كلمته وينصر عباده المجاهدين الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وصلى الله وسلم على من أمر بقتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

أمان أم غدر وخيانة يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي منَّ على عباده المؤمنين بالأمن والأمان في الدنيا والآخرة قال تعالى:(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) وأشهد ألا إله إلا الله وحده نصر عبده ، وأنجز وعده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل :" نصرت بالرعب مسيرة شهر" وعلى آله وصحبه (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً مزيداً ، أما بعد :-

فإنه لما أعلن الطاغوت الأبله عبد الله بن عبد العزيز عن جعل أمانٍ للمطلوبين بأن يُسلموا أنفسهم ، فمتى عُلم بأن الطاغوت يأمن على نفسه فكيف يؤمن غيره فهو لم يأمن من أقرب الناس إليه وهم إخوانه وهو لا يستطيع أن يأمن في أكله وشربه وقيامه وقعوده حتى النوم لا ينام إلا بمهدئات ومع ذلك هو من أشد الناس فزعاً في نومه ، وأما المطلوبون فلن يسلموا أنفسهم لشدة ماهم فيه من طيب عيشٍ ونعيم قلبٍ ويغمرهم الفرح والسرور فلن يُسلِّم هؤلاء المجاهدون أنفسَهم بإذن الله لأمور منها :

أولاً : أن طريقهم الذي ساروا عليه ليس عندهم فيه شكٌ ولا ريبٌ فيما يعتقدون صحته لأن معهم الأدلة من الكتاب والسنة قال تعالى:(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) وقال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ويُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) وقال تعالى:(قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وقال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه) وأنهم قاموا لتطهير ما دَنَّسَهُ هؤلاء الطواغيتُ في جزيرة العرب حيث إن كلَّ صاحبِ ديانةٍ باطلةٍ جاءوا به إلى هذه الجزيرة التي أوصى رسول الله ε عند موته بتطهيرها من كل كافر فقال: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس ، وكما جاء عند مسلم من حديث عمر τ أن النبي ε قال: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما "وكما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث أبي عبيدة بن الجراح τ أن رسول الله ε قال في آخر حياته: " لا يجتمع في جزيرة العرب دينان" فمن هذه النصوص الصحيحة الصريحة وغيرها انطلق المجاهدون ليطبقوا هذه النصوص على أرض الواقع ولم ينظروا إلى من خالفهم في ذلك ؛ لأنه لا قول لأحدٍ مقابل النصوص ، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : لا قول لأحدٍ عند سنَّةٍ سَنَّها رسولُ الله ε .

ثانياً: أن المجاهدين يأوون إلى ركنٍ شديدٍ كما أوى إلى ذلك الرسلُ وأتباعُهم ، أوى إليه إبراهيمُ لما أُلقي في النار فقال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) وأوى إليه موسى كما قال تعالى:(فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) وأوى إليه نبيُنا محمدُ ε فحفظه الله من مكر أعدائه كما قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ولما قال له صاحبه في الغار أبو بكر الصديق τ : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: " ما ظَنُّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثُهما " رواه البخاري ، وهاهم المجاهدون اليوم لا يستنصرون بأحد سوى الله فقد تَكَفَّل بنصرهم وتأييدهم لما تخلَّى عنهم الجميع إلا من رحم الله فهو الذي كتب على نفسه النصر لعباده تكرماً وتفضلاً فقال: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) وقال: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)وقال (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

ثالثاً : لا شك بأنكم أيها الحكام الخونة لكم كيدٌ ومكرٌ عظيمٌ كما قال تعالى:(وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا)وقال: (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ولكنَّ أهلَ الجهاد لا يلتفتون إليه ولا يلقون له بالاً ؛ لأن الله قد تَكَفَّلَ برد الكيد والمكر على صاحبه قال تعالى: (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)وقال:(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)وقال: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) وأنه مهما عَظُمَ كيدُكم في نفوس أوليائكم وجندِكم فإن الله قد بَيَّنَ بأنه من أضعف ما يكون قال تعالى:(الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) فنحن نناشدكم أيها الحكام وأعوانكم التوبةَ والعودةَ إلى الله والكفرَ بالطاغوت والإيمانَ بالله ومناصرةَ أولياء الله ومعاداةَ أعدائه وتحكيمَ شرعه وإقامةَ دينه في صغير الأمور وكبيرها والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر فوالله ما ندعوكم إلا لما هو خيرٌ لكم في الدنيا والآخرة ، هل لكم بالفلاح والرشد وبقاء ملككم ؟ إذاً ما عليكم إلا أن تتبعوا محمداً ε قال تعالى: (قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ).

رابعاً: أن قوتكم قائمةٌ على جندكم ، والسحرة الذين تستعينون بهم في البحث عن المجاهدين ، وجنود الصليب الذين شاركوكم وصرتم صفاً معهم ضدَ أولياء الله ، وهذه كل قوتكم ، فأما جندُكم فقد قال النبي ε فيما أخرجه مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة τ :"إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنة الله " وفي لفظٍ:" يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله "وجاء :"صنفان من أهل النار لم أرهما" رواهما مسلمٌ عن أبي هريرة ، وأن هذا الصنف المتَوَعَّد بهذا الوعيد معهم سياطٌ كأذناب البقر فانظر هذا الوعيد فيمن يضرب الناسَ ظلماً فكيف بمن يقاتل مَنْ هُمْ من خير الناس وهم المجاهدون وقد قال تعالى:(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ε :"لن يزال المؤمنُ في فسحةٍ من دينه مالم يصبْ دماً حراماً " قال ابن عمر :(إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكَ الدم الحرام بغير حله) رواهما البخاري ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود τ أن النبي ε قال:"سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر" وغير ذلك من النصوص ، واعلموا أن الله لكم بالمرصاد ، وأما ما تستعينون به من السحرة فقد قال تعالى: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) ، وأمَّا ما تستعينون به من النصارى فقد قال تعالى: (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) وأنتم كلُكم حزبٌ للشيطان وقد قال تعالى: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) وأن قوتكم كلها قوةٌ أرضيةٌ ليست سماويةً والمجاهدون يستمدون قوتهم ممن بيده جنود السماوات والأرض كما قال تعالى :(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)وقد أخبر تعالى أن القوةَ له وحده لا شريك له قال تعالى:(أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) وقد أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالاستعانة ضدكم بالصبر والتقوى فقال:(وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا).

خامساً: قد نهى الله عباده المؤمنين من أن يخافوا من تهويلكم وبطشكم وأن ذلك لا يوهن عباد الله بما هم فيه من جهاد عدوهم قال تعالى :(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله– عند هذه الآية : (أي: فلا تخافوا المشركين, أولياء الشيطان , فإن نواصيهم بيد الله, لا يتصرفون إلا بقدره.بل خافوا الله , الذي ينصر أولياءه الخائفين إياه المستجيبين لدعوته. وفي هذه الآية , وجوب الخوف من الله وحده , وأنه من لوازم الإيمان. فعلى قدر إيمان العبد , يكون خوفه من الله. والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله) .أ.هـ قال ابن كثير رحمه الله : (أي يخوفكم

أولياءه ويوهمكم أنهم ذووا بأسٍ وذووا شدةٍ فإذا سَوَّلَ لكم فأوهمكم فتوكلوا عليَّ والجؤوا إليَّ ، فأنا كافيكم وناصرُكم عليهم كما قال تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)) أ.هـ . وأمَّا ما تهددون به المجاهدين من القتل والبطش فهو غاية أمانيهم أن يُقتلوا في سبيل الله وهو الذي تمنَّاه سيد البشر كما قال :"والذي نفسي بيده لوددت أن أُقتل في سبيل الله ثم أُحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل " رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، وهذا هو الفوز العظيم الذي ذكره الله في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وهم يتمنون أن يلحقوا بإخوانهم الذين سبقوهم في هذا الطريق كما أن إخوانهم الذين سبقوهم يستبشرون بقدوم إخوانهم إليهم كما قال تعالى: (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) قال ابن القيم رحمه الله : (فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة ، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوفُ من كل جانب ، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أماناً ، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوفاً ، فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر ، إن حركت الريحُ البابَ قال : جاء الطلب ، وإن سمع وقع قدم خاف أن يكون نذيراً بالعطب ، يحسب أن كلَّ صيحةٍ عليه ، وكلَّ مكروهٍ قاصداً إليه ، فمن خاف الله ، آمنه من كل شيء ، ومن لم يخف الله ، أخافه من كل شيء) .أ.هـ .

سادساً: أن المجاهدين يؤمنون بما قدره الله عليهم ، ويعلمون علم اليقين أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأما أنتم وقوتكم فلن تستطيعوا أن تصيبوا أحداً بشيء لم يقدّره الله عليه كما قال النبي ε لابن عباس :" واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلامُ وجفَّت الصحف " وكما قال جل وعلا: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ، ثم إن المجاهدين وعبادَ الله الصالحين موعودون بالأمن والتمكين في الأرض قال تعالى:(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون) فكل من قام بالإيمان والعمل الصالح مَكَّنَهُ اللهُ من البلاد والعباد , وفتح له مشارقَ الأرض ومغاربَها , وحصل له الأمنُ التامُ , والتمكينُ التامُ , وهذا من آيات الله العجيبة الباهرة كما قال تعالى:(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون) فسُبْحَانَ مَنْ بيده الأمر ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، الذي يجعل لمن اتقاه من كل هَمٍّ فرجاً ، ومن كلِ ضيقٍ مخرجاً ، سبحانه كل يومٍ هو في شأن.

سابعاً: متى عُلمَ عنكم أنكم أهلُ أمانٍ ؟ فما في السجون إنما هو صورةٌ مشرقةٌ لأسيادكم من أهل الصليب لِمَا رأوا منكم من الغدر والخيانة وتنفيذ ما يأمرونكم به ، وهل هناك أعظم من أن قمتم بترويع أكثرَ من خمسة عشر ألف بيتٍ من بيوت المسلمين بسبب أخذ واحدٍ أو أكثر من هذا البيت فها أنتم تأتون إلى البيوت وتداهمونها وليس لها عندكم حرمة ، وربما قلتم لمن أردتم استدعاءه : مجرد دقائق وسترجع إلى أهلك ثم تصبح هذه الدقائق كأيام الدَجَّال يومٌ كسَنَة فتشابهت وجوهكم في الخيانة أنتم

وزبانيتكم ، فكيف يكون لكم أمانٌ وقد خنتم اللهَ ورسولَه من قبل قال تعالى: (وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ورضي الله عن عاصم بن ثابت لَمَّا قال له المشركون ولمن معه: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً ، فقال عاصم : أمَّا أنا فلا أنزل في ذمة كافر) رواه البخاري ومسلم . ورضي الله عن كعب بن مالك في قصة تخلفه عن غزوة تبوك حينما هجره النبيُ ε وأصحابُه قال كعب :"فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيٌ من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من مَلِكِ غَسَّان فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحِبَك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالْحَقْ بنا نواسِك .فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها" رواه البخاري ومسلم ، فيا أهل الجهاد اثبتوا على طريقكم الذي منَّ اللهُ به عليكم فدَلَّكم عليه ولا تنظروا إلى هذا الأمان الذي ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، وأين الأمان المزعوم ؟ فهذا يوم الأربعاء 5/13 قاموا بمداهمة بعض البيوت وبملاحقة المجاهدين وبقتل أحدهم ثم من الغد قتل آخر لم يمضِ على هذا الأمان سوى سبعة أيام فغدروا فيه وخانوا. ألم يعطوا الأمان شهراً كاملاً ؟ فالحذرَ الحذرَ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. ولا تلتفتوا لما ينادي به بعض من ينتسب للعلم والدعوة في تسليم أنفسكم فإنهم لم يحسُّوا بالتعذيب والإهانة التي تلاقونها عند هؤلاء الزبانية في سجونهم .وأيضا بعضٌ من هؤلاء كان يتباكى على (بول) النصراني ويناشد المجاهدين على تسليمه ، وحَزِنَ على قتله ، أما لما قُتل أربعةٌ من المجاهدين –من ضمنهم عبد العزيز المقرن نسأل الله أن يتقبلهم في الشهداء وأن يرفع لهم المنازل– لَمَّا قُتلوا لم يحزنوا عليهم ولم يستنكروا قتل هذه النفوس المجاهدة ، بل بعضهم فرح بقتلهم فرحاً شديداً لكن ولله الحمد والمنَّة أبقى اللهُ ما يخزي المنافقين ويسوؤهم من طائفةٍ الموتُ في سبيل الله أغلى أمانيها وستقاتل حتى ينصرها الله أو تفنى عن أخرها.كما جاء في الحديث المتواتر " لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق يقاتلون حتى يظهرهم اللهُ تعالى" لا ينظرون إلى إرجاف المرجفين ولا إلى قوة وعداوة الكافرين قال تعالى:(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) فيا أهل الجهادقد بعتم نفوسَكم واشتراها الربُّ منكم فلا تُسلموها إلا له وقولوا: لا نقيل ولا نستقيل.

ختاماً: يا من أحبَّ المجاهدين وحَزِنَ على قَتْلِ أبي هاجر و إخوانه اعلم أن دين الله ليس متعلقاً بأحد ، وأن رقعة الإسلام ما اتسعت إلا بعد موت النبي ε ، فقُمْ بمناصرة المجاهدين وإيوائهم ومساعدتهم لكي تنال أجر المجاهدين إذا لم تستطع اللحاق بهم ، لكي تنال أجر المجاهد فإنه من جَهَّزَ غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا قال تعالى:(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) اجمعوا لهم التبرعات وافتحوا لهم بيوتكم وجهزوهم بالعدة والعتاد ، عليكم بالدعاء لهم والدعاء على أعدائهم ، اصدقوا مع الله في مناصرتهم وخذوا حذركم لكي تسلموا من هؤلاء الطواغيت نسأل الله أن يحفظَكم والمجاهدين من كيدهم ، و إذا رأيتم جنود الطاغوت قد حاصروا المجاهدين أو طاردوهم فإنه يجب عليكم نصرتهم حتى لو ذهبت في ذلك النفوس ، جاء في مسند الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد τ عن النبي ε قال:"المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرَّأس من الجسد ، يَألَمُ المؤمنُ لأهلِ الإيمانِ كما يَألَمُ الجسدُ لِما في الرَّأس".

وأما ما ينادي به الأرعن سفر بن عبد الرحمن الحوالي بتسليم المجاهدين والمطلوبين أنفسَهم فيقال له كما قال النبي ε :"إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت " رواه البخاري ،كيف تنادي بتسليم هؤلاء لأنفسهم ؟ ثم يسلمونها لمن ؟ إلى هؤلاء الطواغيت الخونة أهل الغدر والمكيدة ؟ ، كيف تريد من هؤلاء المطلوبين أن يتركوا جهاد الكفار والمرتدين لتطهير

الجزيرة منهم ، إن هذا من علامة الخذلان لك وهذا من عمل المنافقين الذي قام به عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة أُحُد حيث رجع بثلث الجيش ، عن زيد بن ثابت τ قال لما خرج النبي ε إلى أُحُد رجع ناس من أصحابه قالت فرقةٌ : نقتلهم ، وقالت فرقةٌ : لا نقتلهم فنزلت (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم) وقال النبي ε:" إنها تنفي الرجال كما تنفي النارُ خبثَ الحديد " متفق عليه ، وهذا الأمر ليس بعيداًً عنك فما أشبه الليلة بالبارحة ، فلما سحب المجاهدون البساط من تحتك وانكشف عَوَرُك للناس سعيت بتسليم الفقعسي والعمري ، فأين الأمان لهؤلاء؟ وأي حكم يتحاكمون إليه لو كنت تعقل ؟ ، قبل سنوات كنت تقوم بدور عظيم في إنكار المنكرات والدعوة إلى الله واليوم أصبحت ذنباً لهؤلاء الطواغيت وأنت تعرف عداوتهم للإسلام وأهلِه ، قال حذيفة τ لأبي مسعود البدري:(اعلم أن الضلالةَ حقَ الضلالة أن تَعرِفَ ما كنت تُنكِر وتُنكِر ما كنت تَعرِف وإياك والتلَوُّن فإن دين الله واحد) ، لو كنت صادقا في الإصلاح لنصرت أهل الإصلاح وهم المجاهدون عموماً والمجاهدون في الجزيرة خصوصا لأنها أولى البلاد تطهيراً ، ولطالبت بإخراج هؤلاء المسجونين ظلماً وعدواناً لا لجريمة ارتكبوها إلا أنهم قالوا : ربنا الله ، وأنت تعرف ذلك وأصبحت اليوم تجادل عن هؤلاء الطواغيت قال تعالى : (وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا) وهذا من ضلالك بعد ما كنت تعرف الحق في هؤلاء الطواغيت ، قال ε " ما ضل قوم بعد هديٍ كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا قوله تعالى: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)" رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي أمامة .

نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ونسأل المولى جلَّ وعلا أن يرزقنا إيماناً لا يرتدّ ، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة نبيه في الجنة جنة الخلد ، اللهم إنَّا نعوذ بك من جَهْدِ البلاء ، ودَرَكِ الشقاء ، وسُوءِ القضاء ، وشماتة الأعداء ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا .

العفو .. العفو يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي جعل من صفاته العفو والإحسان ، وأحب من اتصف بذلك فقال : (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أشهد أن لا إله إلا الله وحده حافظاً لعباده المؤمنين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فيا أهل الجهاد جاءكم عفو ملكي إن أخذتم به مع ما فيه من الذلة والهوان والسجن سنوات طوال بدون حكم أو يحكم عليكم من وزارة الداخلية عن طريق القضاة فمثلاً يحكمون بعشر سنوات فإذا مضت نصف المدة ربما أخرجوكم وقالوا : " مكرمة " أو " عفو ملكي " مع ما فيه من التعذيب والغدر والخيانة والمكر والخديعة ، وتسببتم على أنفسكم بترك عفو ملكي سماوي ممن يملك العفو ويغفر الزلل ويعظم الأجر ويرفع الدرجة ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم.

فاعلموا عِظَم ما من الله به عليكم وأسداه من فضله وإحسانه إليكم بالجهاد في سبيله ، والحراسة والرباط فيه ، وإغاظة أعداء الله وإنزال الضرر والضيق بهم فإن هذه الأعمال من أعظم أسباب عفو الله لكم ومغفرته لذنوبكم قال تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) واعلموا أن ما قمتم به في هذا الزمان من إعلان التوحيد الذي قام على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فأعلنتم ذلك ثم قمتم بتطبيقه واقعاً ملموساً ، تريدون به أن يرفع الله لكم المنازل عنده ويكفر السيئات فاحمدوا الله على أن هداكم لهذا (قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) قال ابن عمر τ : (فَضْلُ الله الإسلام ، ورحمتُه تزيينه في القلب) فالنصوص جاءت في تكفير السيئات ورفعة الدرجات والعفو والمغفرة من رب الأرض والسموات لأهل الإيمان والتوحيد ، قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وقالتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ε :" من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " وفي لفظ" أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية " وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ε قال:" أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما ، إلا دخل الجنة " وعند مسلم عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ε يقول " من شهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، حرَّم الله عليه النار " وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ε :"يقول الله عز وجل :(من لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً ، لقيته بمثلها مغفرة) " وفي الباب عن عدة من الصحابة في أن التوحيد من أعظم أسباب عفو الله عن العبد ومغفرته لذنوبه ، فمن فَقَدَهُ فَقَدَ المغفرة ومن جاء به فله الأمن والهداية التامة قال تعالى(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) قال ابن رجب في جامع العلوم : (فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا ، لقيه بقرابها مغفرة إلى أن قال فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه ، أو بقلبه ولسانه عند الموت ، أوجب ذلك مغفرة

ما سلف من الذنوب كلها ، ومنعه من دخول النار بالكلية . فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه ، أخرجت منه كل ما سوى الله محبةً وتعظيمهاً وإجلالاً ومهابةً ، وخشيةً ، ورجاءً وتوكلاً ، وحينئذ تُحْرَقُ ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر ، وربما قلبتها حسنات) أ.هـ.

إذاً هذا التوحيد لو وضع ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا ، لقلبها حسنات فلله الحمد والمنة على عفوه ومغفرته . فعن أم هانئ عن النبي ε قال " لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنباً " أخرجه أحمد بسند جيد.وعند أحمد وابن ماجه عن شداد بن أوس أن النبي ε قال لأصحابه :" ارفعوا أيديكم وقولوا:لا إله إلا الله " فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله ε يده ، ثم قال :" الحمد لله ، اللهم بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد " ثم قال :" أبشروا ، فإن الله عز وجل قد غفر لكم ".

قال ابن القيم : ويُعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك مالا يُعفى لمن ليس كذلك فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئاً ألبته ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة ، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده ، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك ،لا يبقى معه ذنب ، لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه ، وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض فالنجاسة عارضة ، والدافع قوي أهـ وحديث عبد الله بن عمرو المشهور بحديث البطاقة .

أما العبادة التي تقومون بها ترجون عفو الله ومغفرة الذنوب فهي جهادكم في سبيل الله الذي جاءت النصوص المتظاهرة من الكتاب والسنة على عفو الله ومغفرته ورفعة درجات من قام به قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وقال تعالى(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) وقال تعالى (الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) وقال تعالى (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) فهنا حصلت مبايعة ، وحصلت فيها البشرى بهذا البيع حيث إنها تجارة رابحة وهو حصول الفوز العظيم أي لا فوز أعظم ولا تجارة أربح منه وهو الذي سماه الله الفوز العظيم .

أثامن بالنفس النفيسة ربها ... وليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها تملك الأخرى فإن أنا بعتها ... بشيء من الدنيا فذاك هو الغبن
لئن ذهبت نفسي بدنيا أصيبها ... لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

وعن عبد الله بن عمرو τ أن النبي ε قال :" القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين" وعن أبي قتادة τ : أن رجلاً قام فقال : يا رسول ! أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ε :"نعم إن قتلت في سبيل الله ، وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر" ثم قال رسول الله ε :"كيف قلت؟" قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال

رسول الله ε :" نعم ، وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر ، إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام ، قال لي ذلك " رواهما مسلم هذا –والله– هو الوعد الحق بالعفو والمغفرة للذنوب ليس العفو الطاغوتي الذي حقيقته ليس عفوًا بل هو عين الظلم حيث إنك تسلم نفسك إليهم وتترك الكفر بالطاغوت ولا تنكره . ولا تكفر بهيئة الأمم ولا تعادي النصارى أو أحدًا من الكفرة ولا ترفع راية الجهاد لأن من قرارات هيئة الأمم عدم وجود شيء اسمه جهاد . وكذلك تترك وصية النبي ε لك أيها المؤمن بإخراج اليهود والنصارى وسائر الكفرة من جزيرة العرب وكذلك تجدد الولاء لهؤلاء الطواغيت وتجعلهم ولاة أمور وتلبسهم بلباس الشرع الذي خلعوه ولبسوا بدلاً منه لباس الردة عن الإسلام عياذاً بالله من ذلك .

هذا هو العفو زعموا يسمونه بغير اسمه وهذا من تلبيسهم لرعاياهم ، ونعق بعض أهل العلم خلفهم . أما العفو الذي جاءت به النصوص فهو خلق عظيم يتسم به الرجال العظماء وهو أن تعفو عمن ظلمك وتقابل الإساءة بالإحسان وهو من أعظم القرب التي يتقرب بها العبد لربه. قال تعالى (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وقال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) فقال تعالى(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وقال تعالى (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) وقال تعالى(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) وعن أبي هريرة τ عن رسول الله ε قال :"مانقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" رواه مسلم وهذه الأخلاق العظيمة قد اتصف بها أنبياء الله ورسوله مع أقوامهم فهذا يوسف مع أخوته وما فعلوه به وقد قَدر أن يفعل بهم ما شاء (قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فعفى وسامحهم سماحاً تاماً بل دعا لهم بالمغفرة.

وهكذا رسولنا ε كم أوذي فعفا وغفر حتى لمن أخرجه من بلده فقال يوم الفتح يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال :"اذهبوا فأنتم الطلقاء" (وقال : "اليوم يوم برٍّ ووفاء") رواهما ابن إسحاق . ولما عرض عليه ملك الجبال بأن يطبق عليهم الأخشبين فقال ε " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا" وقال عبد الله بن مسعود :كأني أنظر إلى النبي ε يحكي نبياً من الأنبياء ، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" وهكذا سار الصحابة ψ فهذا صِدّيق هذه الأمة أبو بكر الصّدّيق τ لما حصل في قصة الإفك ما حصل وأنزل الله براءة الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين زوجة النبي ε في الدنيا والآخرة . قال أبو بكر الصّدّيق τ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) قال أبو بكر :بلى والله ، إني أحب أن يغفر الله لي . قال عبد الله بن المبارك هذه الآية هي أرجى آية في كتاب الله . وهذا عمر τ لما استأذن الحر بن قيس لعيينة بن حصن فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : (هِيْ يا ابن الخطاب ، فو الله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم به ، فقال له الحر : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه ε "(خذ العفو ، وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)" وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله) وهذه الأحاديث والآثار في الصحيحين .واعلم أن من أعظم أسباب عفو الله ومغفرته أن تطلب العفو والمغفرة منه لا من غيره ،

أخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت :قلت يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أسأل؟ قال:"قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنّي"، ويُروى عن ابن عمر τ أن النبي ε قال: "يأتي الله تعالى بالمؤمن يوم القيامة

فيُقرِّبُه حتى يجعلَه في حجابه من جميع الخلق ، فيقول له اقرأ صحيفتك ،فيُعرِّفهُ ذنباً ذنباً : أتعرفُ أتعرفُ؟ فيقول : نعمْ نعمْ ، ثم يلتفت العبدُ يمنةً ويسرة، فيقول الله تعالى : لا بأس عليك ، يا عبدي أنت في سترٍ من جميع خلقي ، ليس بيني وبينك اليومَ أحدٌ يطّلِعُ على ذنوبك غيري ، اذهب فقد غفرتُها لك بحرفٍ واحدٍ من جميع ما أتيتني به ، قال : ما هو يا رب؟ قال: كنت لا ترجو العفو من أحد غيري " رواه الطبراني بسندٍ فيه ضعف وأصله في البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب (وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) .

يا ربِّ إنْ عَظُمَــــتْ ذنُـــوبي كَثْــــرةً فلقَـــد عَلِمـــتُ بأنَّ عَفْـــوَكَ أعظَـــمُ
أدعـــوك ربِّ كمـــا أمـــرتَ تضـــرعاً فـــإذا رددتَ يـــدي فمـــن ذا يـــرحمُ
إن كـــان لا يرجـــوك إلا مُحســـنُ فمَـــن الـــذي يَرجـــو ويـــدعُو المُجـــرِمُ
مـــا لي إليـــك وســـيلةٌ إلا الرَّجَـــا وجَمِيـــلُ عَفْـــوِك ثم أَنِّي مُسْـــلِمُ

فهذا العفو الممدوح صاحبه أن يعفو عمن ظلمه أما عفو يعقبه السجون والتعذيب بأنواعه وأن العفو لا يكون إلا بترك بعض أمور الشرع فهذه طريقة الفراعنة والطواغيت قال فرعون لموسى عليه السلام(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) ويا ليت سجن هؤلاء كسجن فرعون بل ما سبقهم في سجونهم سجن أحد من الفراعنة من شدة ما فيه من العذاب مثل تسهير الليالي وكشف العورات والتهديد بانتهاك الأعراض والصعق الكهربائي وهذا يهون عندما تسمع من مسبة الله ورسوله والاستهزاء بالدين من هؤلاء الزبانية. وكذلك فرعون أخذ يناقش موسى ويأخذ ويعطي معه ويستمع منه أما هؤلاء فإنهم لا يسمعون لناصح حتى لو ترسل برقية مناصحة ، لكن هذه النصيحة فيها دعوتهم للهداية والتوحيد أقل ما يكون سجنك بسبب البرقية خاصة إذا عرفوا اسمك وسكنك أقل الأحوال ستة أشهر إلى سنتين وقد وقع هذا . إذاً هؤلاء لا يرون شعبهم إلا عبيداً عندهم وهم يرون أنفسهم مثل اليهود شعب الله المختار . وهذا التهديد بالسجن طريقة مشركي قريش كما قال تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) لكن قريشاً عندها شيم العرب ما تفزع النساء ولا تذعر الأطفال ولا تداهم البيوت ولذا وقفوا عند بيت النبي ε حتى خرج. والمصيبة هنا تتزايد بالتأييد مطلقًا ممن يدعي العلم على هذه الأفعال. والآخرون يطالبون بتسليم المجاهدين لكي تسلم لهم معايشهم لأنهم ضاقت بهم الطرق بالتفتيش وأغلقت بعض مكاتب الدعوة, وحصل التضييق العام ولا ينسبون هذه الأفعال للدولة وإنما ينسبون ذلك للمجاهدين. قال تعالى (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) وأيضاً هذا الطريق أعني طريق الجنة محفوف بالمكاره كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال: "حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره" قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : لما ذكر الموضع الثاني من السيرة قال : فإذا فهمت هذا فهماً جيداً عرفت أن كثيراً من الذين يدّعون الدين لا يعرفونه ولا يفهمونه ، و إلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة مع أنه ε أرحم الناس ولو يجد لهم رخصة لأرخص لهم كيف وقد أنزل الله عليه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه إذا أوذي فكيف بغير ذلك أهـ.

فيا أهل الجهاد اطلبوا العفو من الله والتمسوا مغفرته وأعظم أسباب ذلك توحيده ثم عظموا أمر الصلاة وأدوها في أوقاتها وعليكم بالإكثار من الصلاة خاصة آخر الليل فإنه وقت نزول الرب ومناداته" هل من داع فأستجيب له هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له" كما جاء ذلك في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) وعليكم بكثرة الدعاء والتضرع إلى الله وقرع أبواب السماء قال تعالى (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ) واحذروا التساهل بالمعاصي كبيرها وصغيرها فهل حصلت الهزيمة يوم أحد إلا بسبب معصية واحدة وهل أُخرج آدم من الجنة إلا بسبب معصية واحدة وهي أكله من الشجرة. واثبتوا على مبدئكم في مواجهة عدوكم وأكثروا من ذكر ربكم واستجيبوا لطاعة ربكم ورسوله واحذروا التنازع و الاختلاف فإنه سبب الفشل وعليكم بالصبر فإن هذه مقومات النصر قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

ختاماً: تنبيه على ما قاله سعود الشريم منّ الله علي وعليه بالهداية والسداد فأقول ما هي الدماء المعصومة التي أريقت أهي دماء النصارى أم حراسهم من جنود الطاغوت الذين يفْدُون عباد الصليب بالدم والروح .هلَّا تكلمت على ما يفعله ولاة أمرك بإراقة دماء المجاهدين وترويع أهاليهم ومطاردتهم وانتهاك حرمة بيوتهم حتى لو كان ذلك من باب الظن . وأما الافتيات على ولاة أمرك قال تعالى(قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فاذْكُر هداك الله عن شيء من الافتيات الذي ذكره المجاهدون وليس موجودًا عند ولاة أمرك . أما إخلال الأمن الذي ذكرت فأقول من الذي داهم البيوت و روَّع النساء والأطفال من الذي نشر الفواحش والمخدرات وجلب المغنين والمغنيات وأنواع الظلم في البلاد وأعظم من ذلك من جلب الكفار للجزيرة التي أوصى النبي ε بإخراجهم كما تعرف ذلك ويعرف ذلك كل مسلم. بل يا ليت الأمر على وجودهم فقط مع عِظَمِ هذا بل أصبحت بلاد الجزيرة منطلقاً لقواعد الكفار لضرب أهل الإسلام في كل مكان . كم روعت من أنفس وكم أزهقت من أرواح كم رملت من نساء وكم يتمت من أطفال بل هدمت البيوت على أصحابها بالقنابل والصواريخ التي تنطلق من هنا وهذا لا يخفى عليك. وأما قولك بأن يأخذوا بأقوال علماء الأمة الربانيين أين تيمموا فأقول بأن الله يقول (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) ولم يقوموا باتباع الآراء والأهواء بل قاموا بما جاء بصريح الكتاب والسنة. وأين العلماء الربانيين أليسوا يقبعون في سجون الطواغيت وأنت تعرفهم برسوخهم في العلم وتعتني برسائلهم وأشرطتهم, هلَّا طالبت بالاستنكار على اعتقالهم على المنبر أم أنه منبر سياسي لا يخرج عن سياسة الدولة وما تريده . وأما الحصاة التي ذكرت بأنها تفقأ العين ولا تقتل الصيد, فإن كانت هذه الحصاة تقذف بها على العدو ليست تفقع العين بل تورث هزيمة العدو كما فعل النبي ε . وأما قولك بأن هذا العفو كقول النبي ε لقريش اذهبوا فأنتم الطلقاء فما هذا القياس الفاسد لأن هؤلاء مثلهم كمثلِ قريش لو قالت لأبي بصير وأبي جندل ارجعوا عما أنتم عليه ونعفو عنكم وهذا العفو عفو يعقبه السجن والتعذيب هل تقر يا سعود الشريم أبا بصير وأبا جندل بأن يسلموا أنفسهم لهذا العفو وتحثهما على ذلك.

النبي ε مظلوم وأخرج من دياره وطورد وأرادوا قتله كحال المجاهدين اليوم, فلو كتب الله النصر لأهل الجهاد وهذا قريب إن شاء الله وتمكنوا من طواغيت آل سعود وجندهم فأسلموا يحسن للمجاهدين أن يقولوا لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء لأن العفو عمن ظلمك ليس الذي يريدك أن ترجع عن دينك وتعلن عدم الجهاد وعدم براءتك من الكفار ومن هيئة الأمم المتحدة, هلَّا أنكرت على الرافضة المشركين الذين أظهروا كفرهم وشركهم أمام عينيكِ في الحرم المكي وما علمت عنهم في الحرم النبوي, هلَّا أنكرت على جند الطاغوت الذين قاموا بأمرٍ من الطاغوت بحماية هؤلاءِ الطواغيت من الرافضة المشركين والدفاع عنهم وسجن من ينكر

عليهم, هلّا أنكرت على هؤلاء القرامطة الذين استحلوا نجران أربعة أيام وقتلوا وروعوا أم لم يأتك الإذن والسماح بالتكلم عنهم, هلّا أنكرت فعل الصليبين في أفغانستان والعراق وقد أعلنوا بأنها حرب صليبية كما أُعْلِن ذلك وما حصل أيضاً في سجن أبو غريب, هلّا تكلمت عن لبس ولاة أمرك للصليب فهد وعبد الله أبناء عبد العزيز فإن كنت لا تستطيع أن تنكر ذلك فالزم الصمت ولا تتكلم بباطل كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ε قال:" من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت" فحري بك بما أنك نصحت الأمة للرجوع للحق أن تطبق ذلك على نفسك لأنك قدوة لغيرك فهل ستفعل ذلك أرجو ذلك ، بل لما تكلمت على المنبر بشيء من الحق تلميحاً لا تصريحا أوقفت عن الخطابة, إن هذه الدولة لا تريد أن تسمع الحق ولا تريد النصح وأنت تعرف ذلك منها، وأصلي وأسلم على من نصره الله وأيده ووعده النصر ولأصحابه والمؤمنين من بعده وسلم تسليماً كثيرا.

أحذروا النفاق والمنافقين يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي السر عنده علانية، يعلم ما تخفي الصدور وما تكنه الضمائر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في وصف قلوب أهل النفاق: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أمره ربه بجهاد الكفار و المنافقين فقال له (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ساروا على هذا المنهج القويم وسلم تسليماً كثيرا .

أما بعد : فالنفاق في اللغة : هو من جنس الخداع والمكر و إظهار الخير وإبطان خلافه.

وشرعاً ينقسم إلى أكبر و أصغر .

فالأكبر هو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو الذي نزل القران بذم أهله وتكفيرهم ، وأن صاحبه في الدرك الأسفل من النار . قال ابن تيمية رحمه الله: (فمن النفاق ما هو أكبر ، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره . بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه . ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله).

وأما الأصغر فهو نفاق العمل ، وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحة ، ويبطن خلاف ذلك قال الحسن البصري رحمه الله : (كان يقال : النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل والمدخل والمخرج ، وكان يقال : أُسُّ النفاق الذي بني عليه النفاق الكذب) قال أبو هريرة وأبو الدرداء رضي الله عنهما عوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما هو ؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا ، والقلب ليس بخاشع . رواه ابن المبارك وعن حذيفة قال : المنافق الذي يصف الإيمان ولا يعمل به . قال بلال بن سعد رحمه الله : المنافق يقول ما يَعرِفُ ، ويعمل ما ينكر .رواهما الفريابي في صفة المنافق.

وقد استنبط محمد بن كعب القرظي ما في حديث آيه المنافق ثلاث من القرآن فقال :مصداق ذلك في كتاب الله (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ) إلى قوله (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) وقال تعالى (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِه)إلى قوله (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ) وقال (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ)إلى قوله(لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ) رواه الطبري في تفسيره، وروى البخاري (قال أناس لابن عمر إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ، قال : كنا نعدها نفاقاً)، ونفاق العمل أصوله خمسة : أحدها : إذا حدث كذب . الثاني : إذا وعد أخلف . الثالث :إذا خاصم فجر . الرابع : إذا عاهد غدر . والخامس : إذا اؤتمن خان . وهذه الخصال كما جاءت في حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهما .

واعلم أيها المجاهد أن النفاق خافه سادات أهل الإسلام من الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم فيجب عليك أن تحذره وتخافه ، روى مسلم عن حنظلة الأُسَيِّدي قال : وكان من كتاب رسول الله ε قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟! قال : قلت : نافق حنظلة ، قال سبحان الله ما تقول ! قال : قلت : نكون عند رسول الله ε ، يُذكِّرنا النار والجنة ، حتى كأنا رأي عين, فإذا خرجنا من عند رسول الله ε ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيرا ، قال أبو بكر : فوالله ، إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر ، حتى دخلنا على رسول الله ε قلت : نافق حنظلة ، يا رسول الله ! فقال رسول الله

ε : "وما ذلك ؟" قلت : يا رسول الله نكون عندك ، تذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا ، فقال رسول الله ε " والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" ثلاث مرات . وروى الضياء في المختارة بسند جيد عن أنس قال :[غدا أصحاب رسول الله ε على رسول الله ε فقالوا : هلكنا ، قال " وما ذاك ؟!" قالوا : النفاق ، النفاق ، الحديث].

وروى الفريابي في صفة المنافق . وسئل أبو رجاء العطاردي : هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله ε يخشون النفاق ؟ قال : (نعم إني أدركت منهم بحمد لله صدراً حسناً ، نعم شديداً ، نعم شديداً) أي يخافون رضي الله عنهم من النفاق خوفاً شديداً .

وعمر رضي الله عنه يسأل حذيفة هل عدني رسول الله ε من المنافقين .

قال عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ε كلهم يخاف النفاق على نفسه . رواه البخاري معلقا . قال ابن حجر : وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع .

وعن معلى بن زياد سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق ، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا هو من النفاق آمن . وكان يقول : من لم يخف النفاق فهو منافق . روى ذلك جعفر الفريابي في صفة المنافقين .

وسئل الإمام أحمد رحمه الله : ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه من النفاق ؟ فقال : ومن يأمن على نفسه النفاق ؟ وكان الحسن يسمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقاً ، وروى نحوه عن حذيفة ، قال سفيان الثوري رحمه الله : وخلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث ، فذكر منها : نحن نقول : النفاق ، وهم يقولون : لا نفاق .

وهذا الذي خافه عمر رضي الله عنه من وجود هذا الصنف على الناس فقال وهو على المنبر : إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم : قالوا : كيف يكون المنافق عليما ؟ قال : يتكلم بالحكمة ، ويعمل بالجور ، أو قال : المنكر . رواه الضياء في المختارة.

وقد مثل النبي ε المنافق كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه " مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع لا تزال الريح تميله ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز ، لا تهتز حتى تستحصد " .

ولهم صفات ذكرها الله في كتابه والنبي ε في سنته **فمن صفاتهم** :

الإفساد في الأرض كما قال تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ   أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمونه أنه إصلاح هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً) . وقال ابن جرير في تفسيره : (فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به و الإيقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فذلك إفساد المنافقين في الأرض ، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها) أ.هـ.

ومن صفاتهم : قال تعالى(إذا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ) قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: (ضرب الله هذه الآية مثل المنافقين، إذا كان القرآن موافقاً لهواهم ورغبتهم عملوا به ، كمناكحتهم للمسلمين وإرثهم لهم . والقسم لهم من غنائم المسلمين ، وعصمتهم به من القتل مع كفرهم في الباطن ، وإذا كان غير موافق لهواهم . كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا وقد أشار تعالى إلى هذا (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) .

ومن صفاتهم الصد عن سبيل الله كما قال تعالى (فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)أي تمكنوا من صد بعض الناس عن سبيل الله ، لأن المسلمين يظنونهم إخوانا وهم أعداء . وشر الأعداء من تظن أنه صديق . وهم يتخذون الأيمان للصد عن سبيل الله وبأنهم إخوانا ناصحون قال تعالى(وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ) وقال (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ) . فهم اتخذوا أيمانهم جنه للصد عن الحق وهم من أكذب الناس في أيمانهم قال تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ) ولذا حذر الله نبيه ε منهم بقوله(هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) فكم صدّوا عن سبيل الله كتعويقهم عن الجهاد كما قال تعالى (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا)وبقوله (وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ) وقوله (الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) وكذلك تعويقهم عن النفقة في سبيل الله قال تعالى عنهم(لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا) فردّ الله عليهم بقوله (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فهذا شيء من تعويقاتهم لأهل الإيمان التي يتجلى فيها خبث الطوية وعظم العداء فهم يتمسحون بالنصح والمصلحة لأهل الإسلام وفي حقيقة أمرهم قومٌ خاذلون لهم دالون العدو على عورات المسلمين قد باعوا دينهم بالعيش مع الكفار كما هو الواقع لبعض من ينتسب للدعوة . إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم فهم من شر الناس كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ε " تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه" رواه البخاري ومسلم قال القرطبي رحمه الله : (إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق ، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب ، مدخل للفساد بين الناس) .

وما أعظم ما وصفهم النبي ε كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ε قال " مثل المنافق كمثل العائرة بين الغنمين ، تعير الى هذه مرة وإلى هذه مرة " رواه مسلم وهذا دليل على حيرتهم وترددهم وقد وصفهم النبي ε بأن حقيقتهم هي دعوة الناس إلى النار جاء في الصحيحين عن حذيفة لما سئل رسول الله ε هل بعد هذا الخير من شر قال :" نعم .. دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها" فقلت يا رسول الله صفهم لنا قال:" نعم .. قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " الحديث، وفي رواية لمسلم " وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس ".

ومن صفاتهم : الإعراض عن الجهاد "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق " رواه مسلم ، بل جعلوا الجهاد جريمة حذروا أتباعهم منه فكيف يحدث نفسه بالجهاد من هذه طريقته ؟ .

ومن صفاتهم : الشح (وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ) فهذا حال من أنفق كارهًا ، فكيف بمن ترك النفقة رأساً .

ومن صفاتهم الجبن والفزع ، فقال تعالى (وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) أخرج أبو داود بسندٍ جيدٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ε قال : " شر ما في رجلٍ : شحٌ هالع ، وجبنٌ خالع " .

ومن صفاتهم : الاستئذان بترك الجهاد (لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد ، وإنما يستأذنه الذين لا يؤمن ، فكيف بالتارك من غير استئذان ، فكيف بالمتتبع للمجاهدين لتسليمهم للطواغيت .

ومن صفاتهم : الإرجاف لأهل الإيمان والجهاد (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ۝ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ۝ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) وقال تعالى (وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) فقالت طائفة منهم: لا مقام لكم هنا, لكثرة العدو. فارجعوا إلى المدينة. وقيل: لا مقام لكم على دين محمد, فارجعوا إلى دين الشرك. وقيل: لا مقام لكم على القتال, فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم. قال ابن تيمية رحمه الله : (وهكذا لما قدم هذا العدو وكان من المنافقين من قال: ما بقيت الدول الإسلامية تقوم, فينبغي الدخول في دولة التتار. وقال بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تسكن, بل ننتقل عنها, إما إلى الحجاز واليمن, وإما إلى مصر. وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء, كما قد استسلم لهم أهل العراق, والدخول تحت حكمهم. فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة. كما قيلت في تلك. وهكذا قال طائفة من المنافقين, والذين في قلوبهم مرض , لأهل دمشق خاصة والشام عامة: لا مقام لكم بهذه الأرض) أ.هـ فما أشبه الليلة بالبارحة .

ومن صفاتهم : المسارعة إلى الكفار قال تعالى (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ). وكما قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ)

ومن صفاتهم : أنهم يريدون إيقاع الفتنة بين أهل الإسلام قال تعالى (لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) فهم حريصون على خذلانكم وإلقاء الشر بينكم وتثبيطكم عن أعدائكم وفيكم من يقبل منهم وهذا هو الواقع اليوم يحاولون خذلان المجاهدين وتثبيطهم عن عدوهم كما يحصل اليوم في القنوات الهدامة وخاصة من تبث السموم والشبهات وتعيق أهل الجهاد فانظر ما تبثه (قناة المجد) من هذه الأفكار الخبيثة ضد المجاهدين في كل ساعة تطالعنا بمنافق عليم النفاق أو رجل ذي وجهين أو إنسان مغفل ومن يستمع إليها وصفه الله (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) أي مستجيبون لدعوتهم ويغترون بهم.

أو المجلات التي تنشر شبهاتها وسمومها وتبث بأن أهل الجهاد بينهم عداوة تريد أن تفرق بينهم وتفت من عضدهم فهم يعرفون بلحن القول فكل من دعا إلى التعايش فهو من هذا الصنف لا كثرهم الله فأعراض المجاهدين عندهم (لحم نعام مشوي) . وأما لحوم الدعاة على أبواب جهنم فلحومهم مسمومة ساء ما يحكمون.

لم يتجرأ الكفرة ولا المرتدون على إظهار كفرهم وردتهم في ديار المسلمين إلا من هذا الصنف المنبطح الذي يغضب على قتل الكفار والمرتدين ويفرح بقتل أولياء الله المجاهدين. فهم قد عقدوا الولاية مع الكافرين والمرتدين وقطعوا الولاية عن الله ورسوله وعباده المؤمنين قال تعالى مبينًا أخوتهم للكافرين (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).

فيا أهل الجهاد لا يفتوا من عضدكم وامضوا فالله معكم وناصركم وأما أهل النفاق فليست قلوبهم متوادة متوالية بل يلعن بعضهم بعضا إلا مادام الغرض الذي يؤمّونه مشتركاً بينهم قال تعالى (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) بخلاف أهل الإيمان فإن بينهم المحبة والنصرة ولو بظهر الغيب وإن تناءت بهم الديار, وتباعد بينهم الزمان.

ومن صفاتهم : أنهم ناشرون للفساد مظهرون لكل منكر قامعون كل معروف قال تعالى (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) ، فهم يأمرون بالكفر والفسوق والعصيان وما دعوى الحوارات الوطنية إلا واحدة من ذلك فتجد عن يمينه من أهل الكفر وعن يساره إمامًا من أهل الكفر ويتسع صدره لهؤلاء ولا يتسع صدره لحوار مع أحد المجاهدين. أما نهيهم عن المعروف فهم محاربون للتوحيد الذي جاءت به الرسل والسنة المطهرة وخاصة أعظم شعيرة فارقت بين المنافقين والمؤمنين وهي شعيرة الجهاد فهم محاربون لها ولأهلها وصادون عنها بكل الوسائل نسأل الله أن يثبتنا على دينه ولا يفضحنا بين خلقه في الدنيا والآخرة ، وهكذا الحوار الذي عُقد عن المرأة وخرج بتسعة قرارات كلها داعية لمجون المرأة وعريها ، وقد شارك فيه كثيرٌ من أدعياء الصحوة المشؤومة .

والمنافقون اليوم أشر من المنافقين في زمن رسول الله ε فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إن المنافقين اليوم شر من المنافقين على عهد رسول اللهε , كانوا يسرون واليوم يجهرون) نعم إنهم يجهرون اليوم لو كان عبد الله بن أبي موجوداً لأنكر على المنافقين اليوم نفاقهم نعم ينكر حياءً من الناس ، أما هؤلاء فنزع منهم الحياء هل تظنون بأن عبد الله بن أبي ينادي على الملأ بالإفراج عن أسير نصراني صليبي حربي أو ينادي المجاهدين ويسعى في ذلك سعياً حثيثًا بتسليم أنفسهم هل حصل ذلك من عبد الله بن أبي لما جهز ملك غسان قوته وكان الصحابة يخافون كل يوم أن يأتيهم ملك غسان بقوته كما قال ذلك عمر كما في الصحيح فهل قال لهم سالموا ملك غسان أو استسلموا أو غير ذلك فقبح الله من كان نفاق عبد الله بن أبي أهون على الإسلام منه , عبد الله بن أبي يسر نفاقه وهؤلاء لم يتحملوا الإسرار فأعلنوا للملأ ما تكن ضمائرهم. فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إنما كان النفاق على عهد النبي ε فأما اليوم فهو الكفر بعد الإيمان) رواه البخاري لقد فقتم أيها المتعايشون نفاق عبد الله بن أبي لو خرج اليوم عبد الله بن أبي لتبرأ من هذا النفاق. لكن (لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه) يقوله أنس رضي الله عنه سمعته من رسول الله ε . رواه البخاري.

والمنافقون كانوا يصلون ويزكون (قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ) وكانوا لا يرون الإنفاق على الذين عند رسول الله (لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا) وهكذا اليوم لا تدعم المجاهدين... وقال تعالى (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) قال مجاهد: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله.

وقد توعدهم الله على هذا من أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وقبضهم أيديهم بالعذاب المقيم أي الدائم في الدنيا والآخرة ففي الدنيا ما يحصل له من الهم والغم والآلام ويجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ويوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.

وكانوا يشهدون المشاهد مع رسول الله كما شهد ذلك عبد الله بن أبي قال تعالى (لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) وكانوا لا يرون جهاد النبي جهادًا قال تعالى (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ) : قوموا بالذب عن دين الله وكثروا سواد المسلمين أو ادفعوا عنهم بالدعاء ولهؤلاء المجاهدين فرد هؤلاء المنافقون (قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً

لأَتَّبَعْنَاكُمْ) أي أن قتال محمداً ومن معه ليس جهاداً كما هو الواقع اليوم لا يسمون الجهاد الذي فيه إخراج المشركين من جزيرة العرب وتطهيرها من أدناس الكفرة المحتلين فكرياً ومادياً وسياسياً حتى عسكرياً والقيام على المرتدين ، ومع ذلك يسمون المجاهدين خوارج وإرهابين وليس قتالهم جهاد إنما هو فتنة. ألا في الفتنة سقطوا. (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) وقولة (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) قال ابن تيمية رحمه الله : (قال العلماء : كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة ، فإذا جاءهم أحد قالوا له : ويحك ! اجلس ، فلا تخرج . ويكتبون بذلك إلى أخوانهم الذين بالعسكر : أن ائتونا بالمدينة ، فإنا ننتظركم . يثبطونهم عن القتال . وكانوا لا يأتون العسكر إلا ألا يجدوا بداً .فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم . فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة .

فانصرف بعضهم من عند رسول الله ε ، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيذ .فقال : أنت ههنا ، ورسول الله ε بين الرماح والسيوف ؟ فقال : هلم إلي ، فقد أحيط بك وبصاحبك) .

ومن صفاتهم : أنهم يجمعون بين التخلف عن الجهاد وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره كما قال تعالى (لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ) وكما قال تعالى (لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ومعلوم أن الفرار لا يمنع من الموت أو من القتل قال تعالى: (قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) فمضمون هذه الآيات أن المنايا مقدرة محتومة . فكم ممن حضر القتال فسلم . وكم من فر من المنية فصادفته . فهذا سيف الله المسلول خالد بن الوليد لما احتضر كان ببدنه بضع وثمانون ، ما بين ضربة بسيف وطعنه برمح ، ورمية بسهم ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير . فلا نامت أعين الجبناء .

ولم نتكلم عن الدولة ومنافقيها من العلمانيين والحداثيين وغيرهم ممن اتضح للناس كفرهم ونفاقهم، وإنما أردنا أن نتكلم على من التبس أمرهم عند بعض طلبة العلم والعوام، لما لهم من السابقة في الإنكار والدعوة، فأردنا التنبيه على ذلك، والله من وراء القصد.

ثم احذروا يا أهل الجهاد أن تخترقوا من قبل المنافقين، فكم سقطت من دولة وكم أحبطت من عملية ضد الكفار وكم قتل من أولياء الله وكشفت مخططاتهم من قبل هذا العدو فاحذروا يا أهل الجهاد من النفاق أن تقعوا فيه واحذروا أهله . فإن أهله ذوي فصاحة وبلاغة و أشكال حسنة قال تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) فهم قوم يجلبون الناس إليهم بحسن أجسامهم وجمال منطقهم لكن حقيقتهم هم العدو فاحذرهم.

ثم احذروا يا أهل الجهاد مما يفسد جهادكم أو ينقصه . فلله الحمد والمنة رايتكم واضحة وعقيدتكم سالمة من الشرك وأنواعه وخالية من البدع والأهواء نحسبكم كذلك والله حسيبكم ولا نزكي على الله أحد إذاً حافظوا على ذلك بسلامة نيتكم في القتال لقوله عليه الصلاة والسلام "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " ، في الصحيحين من حديث أبي موسى قال" جاء رجل إلى النبي ε فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " وفي بعض الألفاظ الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة .وعند النسائي عن أبي أمامة قال جاء رجل فقال : يا رسول الله : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ قال لا شيء له ، فأعادها ثلاثا كل ذلك يقول " لا شيء له "، ثم قال رسول الله ε :"إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ابتغي به وجهه " وجاء عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ε يقول :"إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه ، رجل استشهد ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ولكن قاتلت لأن يقال :

جريء ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار " وعن عبد الله بن عمرو قال يا رسول الله ، أخبرني عن الجهاد والغزو ، فقال :" يا عبد الله بن عمرو ، إن قاتلت صابراً محتبساً بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت مُرائياً مكاثراً بعثك الله مُرائيا مكاثراً ، يا عبد الله بن عمرو ، على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال " رواه أحمد وأبو داود فالإخلاص الإخلاص إذا أردتم الخلاص قال تعالى(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) اسأل المولى أن يعيذنا من النفاق وأن يصلح قلوبنا وأن يثبتنا على صراط مستقيم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بالسنة الغراء ... تمسكوا يا أهل الجهاد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد : فإنه لا نجاة للعبد من عذاب الله ولا فلاح له ولا سعادة في الدارين إلا بالتمسك بالوحيين كتاب الله وسنة نبيه ε . فيا أهل الإسلام احمدوا الله على امتنانه علينا بهذا الرسول الكريم الذي هو من أنفسنا ومن جنسنا ولغته لغتنا يعز عليه الشيء الذي يشق علينا حريصٌ على هدايتنا ووصول النفع الدنيوي والأخروي إلينا قال تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) وقد ذكر جعفر بن أبي طالب في وصف النبي ε للنجاشي فقال:"كنا قوماً أهل جاهلية, نعبد الأصنام ونأكل الميتة, ونأتي الفواحش, ونقطع الأرحام, ونسيء الجوار, يأكل القوي منا الضعيف, فكنا على ذلك, حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه, وأمانته وعفافه, فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده , ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان, وأمرنا بصدق الحديث, وأداء الأمانة, وصلة الرحم, وحسن الجوار, والكف عن المحارم والدماء , ونهانا عن الفواحش وقول الزور, وأكل مال اليتيم , وقذف المحصنة , وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً , وحرمنا ما حرم علينا , وأحللنا ما أحل لنا" رواه الإمام أحمد بسند جيد وصححه ابن خزيمة ، وأخرج ابن جرير الطبري (أن رجلاً سأل ابن مسعود τ: ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد ρ في أدناه ، وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جوادٌ وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) قال حذيفة τ: (يا معشر القراء استقيموا ، فقد سَبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيداً). رواه البخاري

وهل يستقيم العلماء إلا إذا تمسكوا بسنة سيد الأنام عليه من الله أفضل صلاة وأزكى سلام ؟

وقد أمر الله أن يهاب نبيه ε وأن يبجل وأن يعظم وأن يُسوَّد فنهانا ربنا عن مناداته باسمه فلا تقولوا له: يا محمد أو ترفعوا أصواتكم عنده كما يفعل بعضكم مع بعض بل قولوا يا نبي الله أو يا رسول الله مع خفض الصوت احتراماً له ε قال الله عز وجل: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا) فبهذه السنة الغراء تمسكوا لتفلحوا وتسعدوا وتنصروا وترحموا قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولا شك أن من فعل هذا أن الله سيرحمه كما قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وهل تنال محبة الله ومغفرة الذنوب إلا بهذا ؟

قال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها ؟ (قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ) بامتثال الأمر, واجتناب النهي ، والتصديق في الخبر , وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، وأن التولي عنه ومخالفته في الطريق كفر , والله لا يحب من اتصف بذلك ، قال تعالى: (قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) إذاً

هو القدوةُ للعالمين، والمحجةُ للسالكين، والحجةُ على المعاندين، والرحمةُ للعالمين، والحسرةُ على الكافرين، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، فشرح الله صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذل والصغار لمن خالف أمره، أيده ربه بنصره وبالمؤمنين ، وأنزل عليه الكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال ، والغي و الرشاد، والشك واليقين . فدين الحق لا يُلتمس إلا بما جاء به هذا الرسول ε قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) فالإيمان به خير للمؤمنين، في أبدانهم، وقلوبهم، وأرواحهم، ودنياهم، وأخراهم، وفي كل أحوالهم . قال ابن القيم رحمه الله عند قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ) : (فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه ؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم؟) وليس لك هداية إلى الطريق القويم والصراط المستقيم إلا بذلك قال تعالى: (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) وقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) ولا تكون لك طاعة لله إلا بطاعة رسوله ε قال تعالى: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة τ عن النبي ε قال :"من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله, ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني" وفي هذا دليل على عصمته ε مطلقاً لأنه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه، ووحيه وتنزيله .

وأوجب ربنا علينا نصرته وتعزيره قال تعالى: (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أي تعظموه وتجلوه وتحترموه ولا تقدموا قول أحد كائناً من كان بين يده .كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) أي لا تعجلوا بقولٍ ولا فعلٍ قبل أن يقول رسول الله ε أو يفعل. قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وهو القدوة التي يجب أن يتأسى المؤمن بها قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) قال ابن كثير رحمه الله :(هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ε في أقواله وأفعاله وأحواله, ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ε يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل, صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين, ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ε) أ.هـ. إذاً كيف تشح بنفسك في أمر جاد رسول الله ε بنفسه فيه ؟! بل تمنى أن يكون فراقه للدنيا شهادةً في سبيل الله بقوله ε: " وددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل " !! فاحذر ذلك كل الحذر أيها القاعد عن الجهاد فكيف إذا كنت قاعداً مثبطاً مبلغاً الطواغيت عن المجاهدين أو آمراً بالتبليغ عنهم ؟ إنها ظلماتٌ بعضها فوق بعض ولكن: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) وكما قال تعالى : (وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ) فكل معرض عن طاعة الرسول ε سيندم يوم القيامة غاية الندم فلا ينفعه تأسفه وتحسره وحزنه كما قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) وقد ختم الله الرسالات برسالته فمن رحمة الله تعالى بالعباد أن أرسل محمداً ε ثم من تشريفه لهم خَتْمُ الأنبياء والمرسلين به، وإكمالُ الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله ε فيما تواتر عنه أنه لا نبي بعده، فمن ادعى هذا المقام بعده فهو كافرٌ كذابٌ دجالٌ ضالٌ مضلٌ، كما قال تعالى: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) .

فليحذر المسلم – وخاصة أنتم أيها المجاهدون وفقكم الله وسددكم – من مخالفة هدي النبي ε قال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال ابن كثير رحمه الله : (أي عن أمر الله ورسوله ε وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان) أي فليحذر وليخشَ من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً (أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) أي في قلوبهم من كفرٍ ونفاقٍ أو بدعةٍ (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي في الدنيا بقتلٍ أو حدٍ أو حبسٍ أو نحو ذلك .وقال تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا) فكل ذلك تحذير من مخالفة هذا الرسول الكريم ، ولذا قال كما جاء في الصحيحين من حديث أنس :"من رغب عن سنتي فليس مني" و فيهما عن أبي هريرة τ عن النبي ε قال :"دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" وثبت في مصنف عبد الرزاق أن ابن عباس رضي الله عنهما لما سأله عروة عن الحج فأمر ابن عباس بالتمتع فقال عروة : إن أبا بكر وعمر يريان الإفراد، فقال ابن عباس : "أراكم ستهلكون أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر". وفيهما عن عائشة رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ε :" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وعند البخاري من حديث أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال :"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" فدخول الجنة مرتبط بطاعته ε ، روى الإمام أحمد في مسنده بسند جيد عن أبي أمامة الباهلي τ قال: سمعت رسول الله ε يقول :"ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شَرَدَ على الله شِرَادَ البعير على أهله" فكم من شارد يأبى دخول الجنة خاصة في هذا الزمان الذي استحكمت فيه غربة الإسلام ؟! فكم كُفِّرَ المسلم بتجريده الإيمان لله وحده وإعلانه الكفر بالطاغوت وتطبيقه على أرض الواقع بمجاهدة الكفار والتبرّي منهم وإظهار العداوة والبغضاء لهم ؟! وكم بُدِّعَ السُنّي بتجريد المتابعة لهذا النبي الكريم ε الذي كان يأمر في خُطَبِه باتباع هديه ؟! أخرج مسلم عن جابر τ قال: كان رسول الله ε يقول :" أما بعد، فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمد ε " وكذا في مواعظه أحياناً ، وهذا يدل على تعظيم أمر السنة التي انطفأت مصابيحها في قلوب كثير من مدعيها، فعن العرباض بن سارية τ قال: صلى بنا رسول الله ε صلاة الصبح ذات يوم فوعظهم إلى أن قال :"فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي. وصححه الترمذي والبزار وابن حبان والحاكم والحافظ أبو نعيم وابن عبد البر وغيرهم وإسناده جيد. فقد وقع هذا الاختلاف من بعده ε في الاعتقاد والأعمال والأقوال نسأل الله أن يثبتنا على الإسلام والسنة حتى نلقاه.

فكم هي أمور كانت مسلّمةً في أمور الاعتقاد الواضحة الجلية مثل موالاة الكفرة والمشركين وإعانتهم على المسلمين فأصبح هذا الناقض اليوم مما يشكك فيه هل هو من النواقض أم لا ؟! بل لا تكاد تسمع اليوم من يتكلم عن هذا الناقض أو ما سواه من النواقض، بل من يتكلم عن هذا الناقض بالخصوص على المنابر أو غير ذلك من الكلمات تجده توضع عليه العين ويهدد بالسجن والتضييق عليه من قبل هؤلاء الطواغيت وعبيدهم ، بل أصبح من الجرائم الدعاء على النصارى والدعاء للمجاهدين، وأصبحت حماية الشرك والدفاع عنه أمراً لا يستنكر، واعلموا يا معاشر أهل الإسلام أن فتنة الشرك والمشركين فتنة عظيمة، وداهية عمياء ذميمة، لا تبقي من الإسلام ولا تذر، لا سيما في هذا الزمان الذي فشا فيه الجهل بأصل الدين الذي هو توحيد رب العالمين وقبض فيه العلم فلا تجد له قائماً وإن وجد فهو محارب منبوذ أو مطارد أو مسجون، وهاهي توافرت أسباب الفتن، وغلب

الهوى، وانطمست أعلام السنن، فحل الكفر بديار الإسلام، وأصبح الحل والعقد بأيدي أهل الكفر ، وانكسفت شمس الهدى بأيدي من ينتسب للإسلام والسنة، فبطن الأرض خير من ظهرها، فقتل الصليبي الحاقد جريمة لا تغتفر وقتل أهل الإسلام قربة من أعظم القرب، وصار التعايش مع الكفار والحوارات الوطنية الملعونة أمام أعين الناس وأسماعهم ، ويشاركهم فيها أناس يزعمون أنهم من أهل العلم وقادة الصحوة ؛ لقد خابت وخسرت صحوةٌ قامت على أيدي هؤلاء وهذه والله من أعظم المخالفة للسنة ، فقد أبدى وأعاد ع في هذا الأمر فقد تبرأ من الكفار بل حتى تبرأ ممن سكن قربهم أو معهم، وصار التحاكم إلى الطاغوت كهيئة الأمم ومجلس الأمن وغيرها من المحاكم الطاغوتية ينادى بها على أعظم منبر في العالم من منابر المسلمين بل يعلن في الصحف بأن أناساً لا يحاكمون ولا يرفع أمرهم إلى الشرع مثل الصحفيين وأهل الإعلام إنما يحاكمون في المحاكم الطاغوتية.

قال ابن القيم رحمه الله: (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) أ.هـ . فهل سمعت بأنه قد أقيم حد الردة على أحدٍ منذ أكثر من مائة سنة ؟ مع أننا في هذا الزمان نسمع ونرى من يخرج من دين الله أفواجاً وأول من نبدأ بهم هؤلاء الحكام. الذين ما من ناقض إلا ارتكبوه ، ولا أساس من أسس التوحيد إلا هدموه .

وكذلك انتشار السحر والسحرة وتمكينهم من ذلك وغير ذلك من النواقض, فأين التوحيد والعقيدة السمحة المزعومة؟ وأما الأعمال المخالفة للشرع فلا تستطيع حصرها لكن نذكر مثالاً لذلك ؛ كترك الصلاة وهذا تجده حتى مقابل المساجد فمن أراد الصلاة صلى ومن لم يرد الصلاة يُترك ولا يُنكر عليه بل إذا أنكرت وأنت لست من أهل الحسبة وحتى لو كنت من أهل الحسبة وأنت في غير منطقتك التي أذن لك أن تأمر فيها فإن هذه جريمة في نظام الطاغوت تستحق عليها العقوبة والسجن، وكصروح جريمة الربا وحمايته وانتشار الزنا وبيوت البغايا وكثرتها شاهدة بذلك وسلوا أهل الحسبة يخبرونكم ماذا تفعل هذه الدولة المرتدة بالزواني والزناة وهل سمعت منذ عرفت نفسك بأن زانياً أو زانيةً أقيم عليهما الحد في ذلك؟ أم أن هذه الدولة وشعبها أطهرُ من دولة سادها رسول اللهع وصحابته؟ وكذا ما ترى في الأسواق وخاصة الأسواق التي بجوار الحرمين وخاصة الحرم المكي فلا تدري ما تقول أهي بلاد الحرمين أم أنها أحد البلاد الأوربية ؟ لما ترى من التبرج بأنواعه والنساء من كل جنس, وإن نظرت إلى الدعايات وما فيها من الدعوة إلى السفر إلى بلاد الكفر والدعاية إلى الأفلام والمسرحيات ، و إن نظرت إلى تساهل الناس في التصوير الذي لعن الله فيه المصور وهو من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لا يُتورع عنه حتى في المساجد وانظر ذلك في الحرمين وكذلك من ينتسب للدعوة حينما يلقي محاضرة انظر إلى هذه الكاميرات الملعونة كيف دخلت المساجد لتصوير ذلك ولا يستطيع أحدٌ إنكارها، حتى وصل التساهل والتوسُّع في التصوير إلى بعض المجاهدين وهم خيار الأُمَّة، فاحذروا يا أهل الجهاد من ذلك، وأصبحت هذه القنوات كالتلفاز والدشوش التي كانت بالأمس محرمة صارت في بيوت كثيرٍ من القضاة والعلماء بل حتى بعض أهل الحسبة وأئمة المساجد يسهرون عليها، فإلى الله نشكو غربة الإسلام.

وأما الأقوال فهو البحر الذي لا ساحل له من الاستهزاء بالدين ومسبة الله ورسوله وكذا مسبة المجاهدين، فقد وصل الأمر إلى أن يُسب المجاهدون على المنابر ويُدعى عليهم ، بل ذهب الحياء حتى آل الأمر من الشؤون الإسلامية بالأمر بوجوب القنوت على المجاهدين في المساجد ، ويمنع القنوت على اليهود والنصارى والمشركين ، هذا شيءٌ مما يحدث في هذا الزمان ذكرنا ذلك ضرب

مثالٍ فقط وإلا ففي الحقيقة أنها أمورٌ لا تحصى فهل هناك غربة فوق هذه الغربة؟ قال ابن المبارك رحمه الله : (اعلم أي أخي أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان, وقلة الأعوان وظهور البدع, وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء أهل السنة وظهور البدع) أ.هـ .

واعلم أخي المسلم وخاصة أنت أيها المجاهد بأن المصلحة كل المصلحة باتباع السنة وإن رفضك الناس قال رافع بن خديج τ : (نهانا رسول الله ε عن أمر كان لنا نافعاً, وطاعة الله وطاعة رسوله أنفع لنا) رواه مسلم. وانظر أخي خوف صديق هذه الأمة أن يترك شيئاً مما كان عليه رسول الله فيزيغ قلبه قال أبو بكر الصديق τ: (لسْتُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ε يعمل به إلا عملت به, فأني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ) رواه البخاري. بل انظر لعظم استجابة الصحابة لرسول الله ε جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك τ أنه رأى في يد رسول الله ε خاتماً من ورق يوماً واحداً ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله ε خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم ، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما. وحديث أبي سعيد الخدري τ حينما صلى رسول الله ε في نعليه فصلوا في نعالهم فخلع رسول الله ε نعليه فخلعوا نعالهم وهم في الصلاة فلما انصرف رسول الله ε قال:"لم خلعتم نعالكم؟ قالوا يا رسول الله رأيناك خلعت نعالك فخلعنا نعالنا، فقال: إن جبريل أخبرني بأن فيهما قذراً " رواه أبو داود واختلف في إرساله ووصله والصواب الوصل.

وانظر إلى تغليظ هؤلاء الصحابة فيمن خالف السنة وهذا باب واسع نذكر من ذلك دليلين ، جاء عند أحمد ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ε قال:" لا يمنعن رجل أهله أن يأتوا المساجد, فقال ابنٌ لعبد الله بن عمر: فإنا نمنعهن!! قال عبد الله: أحدثك عن رسول الله ε وتقول هذا ؟! قال: فما كلمه عبد الله حتى مات" وهذا لفظ أحمد وعن عبد الله بن مغفل, أنه رأى رجلاً يخذف؟ فقال له: لا تخذف, فإن رسول الله ε نهى عن الخذف, أو كان يكره الخذف. وقال:" إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو, ولكنها قد تكسر السن، وتفقع العين" ثم رآه بعد ذلك يخذف, فقال له: أحدثك عن رسول الله ε أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف، وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لا قول لأحدٍ عند سنة سنها رسول الله ε . وسأل رجلٌ مالكاً رحمه الله من أين يحرم أهل المدينة؟ فقال: من ذي الحليفة، قال الرجل: أحرمت من المسجد النبوي فقال مالك رحمه الله: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . قال الشافعي رحمه الله : (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنةٌ عن رسول الله ε لا يجوز له أن يتركها لقول كائنٍ من كان). قال أحمد رحمه الله : (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله يقول: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك . فهذه حال صحابة رسول الله وسلف الأمة مع سنته ε ، وواقع زماننا كيف ترى شرك الطاعة واضحاً جلياً من هؤلاء (الشرط والمباحث وغيرهم كثير) لهؤلاء الطواغيت حيث جعلوا النظام وغيره من أوامر الطواغيت تشريعاً لا يُتجاوز، بل جعلوه ديناً يدان به والعياذ بالله، ثم إذا قلت له: بأن هذا مخالف للشرع قال : أنا عبد مأمور . بل يقول بعضهم : النظام فوق الجميع ... بل فوق الجميع رب العالمين الذي أرسل إليك الرسول لتأتمر بأمره وتنتهي عن نهيه . بل وصل الأمر إلى أن بعض أهل العلم يترك النص لقول الحاكم، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن العالم إذا ترك حكم الله لقول أحد بأن ذلك كفر وردة عن الإسلام انظر ذلك في الفتاوى ج 35 . بل بعض منهم لما سئل عن التأمين قال : هو حرام، لكن بما أن الحاكم أمر به فيكون ذلك واجباً ،، عياذاً بالله من هذا الشرك .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه : (النوع الثالث : شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ε لعدي بن حاتم لما سأله، فقال : لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية) أ. هـ. وجاء عن حذيفة وابن عباس عند هذه الآية قالا : إنهم اتبعوهم فيما أحلوا وحرموا.

وهكذا اليوم استنصحوا العلماء وتركوا كتاب الله وسنة رسوله ε وراءهم ظهرياً . بل يعلن بعض أهل العلم صراحةً بأن الرجوع عند التنازع إلى العلماء ، وأيضاً ليس لكل العلماء إنما علماء المملكة زعموا، فأين قوله تعالى :(فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) إنها أمور تجعل الحليم حيران والعاقل بمنزلة السكران، فنسأل الله الوفاة على الإسلام والسنة وأن يرزقنا موتةً في سبيله يرفعنا بها عنده في أعلى الدرجات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أرغموا أهل الكفر .. يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي جعل عزة أهل الإسلام ورفعتهم بالتوحيد والجهاد ، وجعل ذلة أهل الكفر وصغارهم بالإعراض والعناد ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل يوم الفتح "احصدوهم حصداً" فأرغم الله به أنوف أهل الكفر حتى جاءوا بالجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

فإن من أعظم ما يتقرب به إلى الله عز وجل هو الإرغام والتغليظ لأعداء الله من الشياطين والكفار والمرتدين والمنافقين .

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)

فهؤلاء أعداؤك أيها المسلم وأعداء الرسل ، فكلما أظهرت التوحيد وأعلنت الجهاد أرغم الله أعداءك .

فهذا الأذان الذي هو من شعار أهل التوحيد إذا سمعه عدوك الشيطان أرغمه ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال :"إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر .. الحديث " قال ابن حجر رحمه الله : (ظاهره أنه يتعمد إخراج ذلك إما ليشتغل بسماع الصوت الذي يخرجه عن سماع المؤذن ، أو يصنع ذلك استخفافاً كما يفعله السفهاء ، ويحتمل أن لا يتعمد ذلك بل يحصل له عند سماع الأذان شدة خوف يحدث له ذلك الصوت بسببها) أ.هـ .

فهذا فعل شياطين الجن عند الأذان وقد أخبر الله عن حال إخوانهم من شياطين الإنس عند مناداة الصلاة فقال: (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) وكذا مما يغيظ أعداء الله الصدع بالتوحيد قال تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ¯ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) وعن ابن عباس ψ قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ε وعند أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه قال وشكوه إلى أبي طالب ، فقال يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟ قال: " إني أريد منهم كلمةً واحدةً تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية" قال: كلمةً واحدةً! قال:"كلمةً واحدةً" فقال: يا عم قولوا:"لا إله إلا الله" فقالوا: (إلهاً واحداً) ؟ :(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) قال: فنزل فيهم القران :(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ¯ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) إلى قوله :(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفي الصحيحين عن ابن عباس ψ قال: صعد النبي ε الصفا ذات يوم فقال :"يا صباحاه" ، فاجتمعت إليه قريش ، قالوا : ما لَكَ ؟ قال :" رأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يُمَسِّيكم أما كنتم تصدقوني؟" قالوا: بلى ، قال:" فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال أبو لهب: تباً لك! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) وروى أحمد في مسنده عن ربيعة الدِّيلِيِّ قال:رأيت رسول الله ε بسوق ذي المجاز يقول:" يا أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا"، ويدخل في فجاجها والناس مُتَقَصِّفُونَ عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً ، وهو لا يسكت يقول:" أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا"، إلا أَنَّ وَرَاءَهُ رجُلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صَابِئ كاذِبٌ ، فقلت: من هذا ؟ قالوا محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة . قلت: من هذا الذي يكذبه ؟ قالوا : عمه أبو لهب .

فدعوة التوحيد التي عليها منهاج النبوة من أعظم ما يغيظ أعداء الله وكذلك سائر العبادات ولذا (قالت قريش لابن الدَّغِنَة لما أجار أبا بكرٍ مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ، فليصل فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ذلك ابن الدَّغِنَة لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولايقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً ، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، وأفزع ذلك أشراف قريش المشركين) رواه البخاري .

وهكذا لما أعلن أبو ذر إسلامه أغاظ الأعداء ، عن ابن عباس أن أبا ذر لما أسلم قال له النبي ε " ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري" فقال : والذي نفسي بيده ! لأَصْرُخَنَّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه قال : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجاركم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه)متفق عليه

ومما يغيظ أعداء الله التقرب إلى الله بكثرة السجود فإن السجود قربة إلى الله كما قال تعالى: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لأن السجود لله من أعظم العبادات ومن أعظم أسباب دخول الجنات ورفعة الدرجات . عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ε .

فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة ، أو قال: قلت بأحب الأعمال إلى الله ، فسكت ، ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ε .فقال: " عليك بكثرة السجود لله ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجةً ، وحطَّ عنك بها خطيئة" قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته . فقال لي مثل ما قال لي ثوبان . وعن ربيعة ابن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ε ، فآتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي :" سلْ" فقلت : أسالك مرافقتك في الجنة . قال:" أَوْغَيْرَ ذلك ؟" قلت :هو ذاك قال :" فَأَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود " رواهما مسلم .

فالسجود من أعظم ما يغيظ العدو الجني والإنسي عن عبد الله بن مسعود τ قال : قرأ النبي ε النجم فسجد ، فما بقي أحد إلا سجد ، إلا رجل رأيته أخذ كفَّاً من حصى فرفعه فسجد عليه وقال :"هذا يكفيني ، فلقد رأيته بعدُ قُتِل كافراً بالله" متفق عليه.

وروى مسلم عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε : إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي ، يقول :يا ويله! أمر ابن آدم بالسجود ، فسجد، فله الجَنَّةُ ، وأمرت بالسجود ، فأبيت ، فلي النار". وهكذا يرغم عدو الله من سجود السهو روى مسلم عن أبي سعيد الخدري τ قال : قال رسول الله ε :"إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدْرِ كم صلى ؟ ثلاثاً أم أربعاً ؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ، ثم يسجدُ سجدتين قبل أن يسلم .فإن كان صلى خمساً ، شفعن له صلاته ، وأن كان صلى إتماماً لأربع ،كانتا ترغيماً للشيطان " فهم أي الكفرة أهل حنق وحسد وبغض وعدواة لأهل الإسلام ، كما قال تعالى (وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) وهذا أشد الغيظ والعداوة وهذا يظهر من فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم مع ما تحمل صدورهم من البغضاء لكم ، ولذا ما يصيب أهل الإسلام من العزة والرفعة وفي كل حال حسنة إلا ويسوؤهم (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا) وقال تعالى:(مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وهذا يدل على شدة عداوة الكافرين ليقطع المودة بيننا وبينهم .

وهذا ما تنطوي عليه ضمائرهم وتكنه سرائرهم من الحسد والغل لأهل الإيمان . لكنه يغيظهم ويرغمهم بتعلق أهل الإيمان والجهاد بالصبر والتقوى والتوكل على الحي القيوم ، لأن الله هو المحيط بأعدائكم ويرد كيدهم ، قال تعالى: (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

ومما يغيظ أعداء الله الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام أو لديار تستطيع أن تتعبد الله عز وجل فيها بدون أذى ، قال تعالى: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) .

فإن هجرة المسلم فيها مراغمة لأهل الكفر ، وإن من أشد ما يرغمهم هو مفارقتهم وهجر ديارهم ، وانظر لما أراد رسول الله ε الهجرة إلى المدينة جعل المشركون في ذلك ديةً لمن يأتي برسول الله ε مائة من الإبل لمن يأتي به حياً أو ميتاً هو أو صاحبه ، وهكذا أرسل المشركون للنجاشي بأن يسلّم من عنده من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، وأعطوا النجاشي الهدايا لكي يسلمهم فقالوا: (أيها الملك ؛ إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ، ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم ، وأعمامهم ، وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عَيْناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه) رواه أحمد بسند جيد ، إذاً دل فيما تقدم على أن الهجرة فيها إغاظة لأعداء الله ، وأن كل ما يغيظ أعداء الله قربة يتقرب بها العبد إلى الله ، قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) .

ومن أشد ما يغيظهم قتالهم وتهديدهم بذلك ، ولذا قال رسول الله ε وهو يطوف بالبيت :" يا معشر قريش أتسمعون: والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح" فبعد ذلك أفزع أشراف قريش وتغيرت معاملتهم معه . وقد جاءت النصوص بالشدة على الكفار والإغلاظ عليهم . وهذا من أعظم وصف أهل الإيمان ، بخلاف المنافقين أهل التعايش والانبطاح والتذلل لأهل الكفر ، قال تعالى في وصف نبينا ε ومن معه: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) فهذا الوصف وكثرة الطاعات التي يقومون بها كما ذكر الله في الآية هي التي تغيظ العدو ، فقال تعالى في آخر الآية: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) وأن من قام بهذه الأمور فقد وعده الله وعداً عظيماً ، كما قال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) .

فوصف أهل الإيمان الكمّل هو : أن يكون شديداً عنيفاً غضوباً عبوساً مضيّقاً مقاتلاً للكفار ، قال تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) وقال الله آمراً نبيه بمجاهدتهم والإغلاظ عليهم: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وكما روى مسلم من حديث أبي هريرة τ أن النبي ρ قال: لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام واضطروهم إلى أضيق الطرق " فهذه حياة الكفار والمنافقين في الدنيا ؛ قطعٌ لرؤوسهم ، والتقرب إلى الله بذلك ، وبإذلالهم بأخذ الجزية منهم عن يدٍ وهم صاغرون كما قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه)، وفي الحياة الأخروية مآلهم جهنم ، وبئس المصير ومن يهن الله فماله من مكرم ، والنصوص تواطأت على وجوب قتالهم في كل موطن ،فهذا رسول الله ε ما مات حتى طهر الله به

الجزيرة فأرغم الله به أنوف الكفرة والملحدين . وقمع الطغاة والمنافقين . وهكذا صديق هذه الأمة أبو بكر τ لما تولى ، وقد مال الدين ميلاً كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به ، فوطد القواعد وثبت الدعائم ، ورد من شرد عن الدين وهو راغم بقتاله للمرتدين عن الإسلام فحينما قاتل أهل الردة ، بين الحق لمن جهله ، وأدى عن الرسول ما حمله قائماً بسيف الردة على المرتدين استدلالاً بقول النبي ε :"من بدل دينه فاقتلوه" رواه البخاري عن ابن عباس وهكذا أحل رسول الله دماء أهل الردة بقوله "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة " رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود وأخرج أهل السنن عن عثمان τ قال: سمعت رسول الله ε يقول:" لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس " وفي الباب عن عائشة وغيرها .

وكلما أظهرت أيها المجاهد العداوة والبغضاء وتكفيرهم وقتالهم والبراءة منهم اشتدت الإغاظة لهم فيجب عليك أيها المسلم المجاهدة لهؤلاء الكفار وتتبعهم في كل موطن لكي ترفع لك الدرجات وتحط عنك السيئات ويكون قتالهم سبباً لفكاك من النار لأن الجنة تحت ظلال السيوف . وإن قتلوك فهنيئاً والله لك الشهادة واصطفاء الله لك موتةً تمناها سيد البشر ، وهي والله أسرع طريق إلى الجنة والنجاة من النار وأهونها ميتة .إن قاتلتهم صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر لتكون كلمة الله هي العليا قال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وقال تعالى: (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) .

وختاماً من يرفع الذلة عن هذه الأمة :

إنك لتعجب كل العجب أن تُربى أُمة وتُؤمر بنزع السلاح منها والعدو في داخل ديارها ومحيطٌ بها هذا ما أمر به نايف بن عبد العزيز (أبو لهب هذا الزمان) وهدد كل من وجد عنده سلاحٌ بالغرامة المالية والسجن، ما سبب هذه الجريمة؟! إنه حوزة السلاح الذي أمر الله به عباده بالإعداد ولكن تشريع بوش وعبيده عبد الله ونايف ومن على شاكلتهم يخشون من وجود السلاح في أيدي عباد الله المؤمنين لكي يدخل العدو وليس في أيديهم قوة يدافعون بها عن أنفسهم وأعراضهم. يذكّرك ذلك ما ذكر أهل التاريخ بدخول التتار في بلاد المسلمين حيث ذكروا من شدة ما حصل من الذلة ونزع السلاح من المسلمين حيث أن الرجل أو المرأة من التتار يدخل في بيت من بيوت المسلمين فيجد فيه مجموعة من الرجال فيقول انتظروا ثم يذهب ليأتي بسلاح ثم يقتلهم عن آخرهم. هذا ما يريده هؤلاء الطواغيت اليوم أن تستحل دماؤكم وتستباح أعراضكم فأفيقوا يا أهل الجزيرة من غفلتكم بالعودة إلى الله بصدق وتحديث النفس بالجهاد وإعداد العدة لملاقاة العدو وأقل الأحوال أن تعدوا شيئاً من السلاح لا تستذلوا فما أُذلت الأُمم قبلكم إلا بتركها لدينها وعزوفها عن جهاد عدوها إذا كان الله يأمرك بالاعداد بقوله: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ) فأمر الله بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الإمكان والاستطاعة قال ε وهو على المنبر لما تلى هذه الآية :(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) " ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي "رواه مسلم وقد بوب البخاري رحمه الله : باب التحريض على الرمي ثم ذكر حديث سلمة بن الأكوع τ قال:مر النبي ε على نفر من أسلم ينتضلون ، فقال النبي ε :" أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً " ،وعن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله ε يقول:" إن الله عز وجل

يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله ، وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا" رواه أحمد وأبو داود –وبوب عليه باب الرمي– والترمذي وصححه –وبوب عليه باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله– وابن ماجه. فانظر أخي المسلم الفضل العظيم في هذا الحديث حيث جعل ثلاثة نفر يدخلون الجنة في السهم الواحد فكيف إذا ادخرت في سبيل الله السلاح وأمور الرماية وإعداد العدة وكلما سمعت من معسكر أو جبهة للجهاد طرت إليها إنه فضل عظيم والله يؤتي فضله من يشاء . بل قال النبي ε لسعد بن أبي وقاص "ارم فداك أبي وأمي" رواه البخاري ومسلم وقد تواترت النصوص على جعل الخيل وفضل ربطها والبركة في ذلك بل تدعو لصاحبها في كل سحر . أخرج الإمام أحمد والنسائي عن أبي ذر τ قال: قال رسول الله ε :" إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر بدعوتين يقول: اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم ، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه" وقال كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ε قال:" الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " وفي حديث عروة البارقي τ أن النبي ε قال :" الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم" متفق عليه ، ولهما عن أبي هريرة τ قال: قال النبي ε :" من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه ورثه وبوله في ميزانه يوم القيامة" وروى أحمد في مسنده عن سهل بن الحنظلية قال: قال لنا رسول الله ε :" إن المنفق على الخيل في سبيل الله كباسط يده بالصدقة لا يقبضها"وفي المسند أيضاً عن عمر بن الخطاب τ قال: (أن علموا صبيانكم العوم ومقاتلتكم الرمي) بل حتى نساء الصحابة كنَّ يدخرنَّ السلاح فعن أنس τ أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً ، فكان معها ، فرآها أبو طلحة ، فقال : يا رسول الله ! هذه أم سليم معها خنجر ، فقال لها رسول ε:" ما هذا الخنجر؟ "قالت: اتخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه ، فجعل رسول الله ε يضحك ، قالت : يا رسول الله ! أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك ، فقال رسول الله ε:"يا أم سليم! أن الله قد كفى وأحسن" رواه مسلم فهل بعد هذه النصوص من فضل فتنافسوا يا أهل الإسلام بإرغام الطواغيت بادخار السلاح حتى لو بعت متاع البيت من أجل شراء السلاح فليس هذا بعظيم كيف يمنعونكم من السلاح وهم لا يسيرون إلا بمواكب تحميهم حتى إن الطائرات العمودية تحميهم من فوقهم وهؤلاء الطواغيت لا تفارقهم الأسلحة حتى عبيدهم أو ما يسمون (بالأخويا) وهاهي طائرات هؤلاء الطواغيت قد جهزت إذا دخل العدو فروا ، بل حتى الكفرة في دياركم يا أهل الجزيرة لا يمشون في شوارعكم إلا ومعهم أسلحتهم فكيف في بيوتهم بل كيف القواعد العسكرية التي قد أحاطت بكم براً وبحراً فدماؤكم وأعراضكم عندهم هؤلاء الطواغيت لا تساوي فلساً فكيف تستجيبون لدعوة تسليم السلاح بل الواجب عليك ادخار السلاح ومحرم عليك تخلية منزلك أو مكان آخر يخصك ليس فيه سلاح. قوموا بالدفاع عن أنفسكم وأعراضكم حتى إذا دخل عليكم عدوكم واجهتموهم فهذا أمر من ربكم ونبيكم بإعداد العدة لا يستذلنكم هؤلاء الطواغيت فإنهم أذلوكم أشد من إذلال فرعون لبني إسرائيل. فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل. ومن الناس اليوم الذي وصلت به الذلة غايتها هو أن بعضهم قام الطاغوت وجنده بقتل أبنائهم فذهبوا إلى هؤلاء الطواغيت ليشكروهم على قتل أبنائهم وتجديد الولاء لهم لكن الطاغوت لم يكتفِ بهذا الذلَّ بل وبخ هؤلاء الآباء ومن معهم بتفريطكم في تربية أبنائكم والله ما أعظمه من ذلّ بدلاً من أن يطالب بدم ابنه يشكر الطاغوت على هذا الفعل والطاغوت يهينه ويذله ويزجره ، أما يخشى أن يصيبه ما أصاب اليهود من الذلة والهوان ؟ قال تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ) وقال: (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ).

وأسال المولى جل وعلا أن يمن علينا بإغاظة عدونا و إرغامه ، وأسال الله عز وجل أن يمن علينا بالثبات على دينه والشهادة في سبيله صابرين محتسبين مقبلين غير مدبرين إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدعاء سلاحكم .. يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي جعل الدعاء من أشرف العبادات ، وجعل التقرب إلى الله به من أعظم القربات ، وأشهد أن لا إله إلا الله المتوحد بالكمال والجمال ، له الأسماء الحسنى أمرنا أن ندعوه بها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيهُ وخليلهُ ، خيرُ من دعا ربه بالليل والنهار ،وأكثرَ دعاءَه واستغفارَه بالأسحار ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد :

فاعلم أيها المسلم أن الدعاء نوعان : دعاء مسألة ودعاء عبادة ، فدعاء المسألة : هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) ، ودعاء العبادة : هو دعاء الخوف والرجاء قال تعالى : (وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) ومعلوم أن النوعين من الدعاء متلازمين ، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، قال تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) فهذه الآية دلت على قرب الرب وإجابته لدعوة من دعاه ، فالقرب نوعان : قرب بعلمه من كل خلقه ، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والنصر والتأييد والتوفيق ، فما من داع يدعو بحضور قلب وانكسار وتذلل للرب ودعا بدعاء مشروع ولم يكن عنده مانع من موانع إجابة الدعاء وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء ، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية والإيمان به الموجب للاستجابة ، إلا استجاب الله له .

فيا أهل الجهاد اعلموا أن الدعاء من أعظم أسباب النصر ، وهو من أقوى الأسلحة للمؤمن ضد عدوه ، وهو أعظم عبادة تتقربون بها إلى ربكم ، عن النعمان بن بشير τ قال سمعت رسول الله ε يقول : (الدعاء هو العبادة) ثم قال : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجة والترمذي وقال : حسن صحيح. وروى مالك في الموطأ عن نافع أنه سمع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وهو على الصفا يدعو يقول : (اللهم إنك قلت: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وإنك لا تخلف الميعاد, وإني أسالك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتى تتوفاني و أنا مسلم) .

فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم فضل الله وكرمه ورحمته كيف يدعو عباده إلى ما هو خير لهم مما يصلح دينهم ودنياهم وآخرتهم مع غناه عنهم وافتقارهم إليه ، فكم دعاهم إلى الجنة وإلى الصراط المستقيم ،كما قال تعالى : (وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وكم دعا عباده إلى مغفرة ذنوبهم كما قال تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) ، ودعا عباده وناداهم بأن يدعوه فيستجيب لهم ، جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة τ أن رسول الله ε قال :"ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له".

إذا علمت فضل الله عليك فازدد لله شكراً بكثرة دعائه ، لأن دعاء الله من أعظم العبادات وأفضلها كما دلت على ذلك نصوص الكتاب و السنة، أخرج الحاكم وصححه أن ابن عباس τ قال: (أفضل العبادة الدعاء) وقرأ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) . وروى أحمد في الزهد عن مطرف قال: (تذكرت ما جماع الخير فإذا الخير كثير فالصلاة والصيام وإذا هو في يد الله تعالى ، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله فيعطيك) فتبين أن الدعاء من أجل العبادات وأكرمها على الله .

فيا أهل الجهاد عليكم بالإلحاح على الله في الدعاء ورفع أكف الضراعة ، فإن الدعاء من أعظم ما يجلبُ به النعماء ويدفع به الضراء ، لأن الله وحده مالك الضر والنفع ، الكاشف للضراء الجالب للسراء ، المتصرف في خلقه كيف يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وهو على كل شيء قدير . قال الله تعالى : (وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ) وقال (وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الآية ، وهذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده هو المستحق للعبادة ، ولذا كان رسول الله ε يقول دبر كل صلاة:" اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة τ .

وكان يقول ذلك إذا رفع من الركوع كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري τ : كان رسول الله ε إذا رفع رأسه من الركوع قال : " ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " وكذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وهذا الذي وصى به النبي ε ابن عمه عبد الله بن عباس حين قال له : (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) رواه أحمد والترمذي وصححه .

قال ابن رجب رحمه الله : (واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل ، وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه ، فإن العبد إذا علم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة ؛ علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع ، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده ، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئاً ممن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله ؛ أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً وأن يتقي سخطه ولو كان في سخط الخلق جميعاً ، ثم قال : وما أحسن قول بعضهم :

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذي فوق التراب تراب

فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب تراب ، فكيف يقدم على طاعة شيء من التراب على طاعة رب الأرباب ؟؟ أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب ؟؟ إن هذا لشيء عجاب .

فإذا أيقن العبد بأن الأمور كلها بيد الله أوجب عليه سؤاله ، قال تعالى : (وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) وحث على أن يكون الدعاء بإلحاح وتذلل واستكانة وخفية ، قال تعالى : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) وقال تعالى : (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) وأمرنا

أن نخلص له وحده الدعاء بخلاف ما عليه المشركون ، قال تعالى : (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) أي لا تريدوا ولا تقصدوا في دعائكم إلا الله، ولا تأخذكم في الله لومة لائم لأن الكفار يكرهون إخلاصكم لله غاية الكراهة ، كما قال تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) ولا يثنينّكم ذلك عن دينكم قال تعالى : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) أي أمركم بالاستقامة في عبادته ومتابعة رسوله ε المؤيد من قبل ربه ، وأعظم ما يكون ذلك هو بإخلاص الدعاء والطاعة لله وحده قال تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) واعلم أخي المسلم أن هناك أمورًا منهيًّا عنها في الدعاء منها :

1- الاستعجال أو الدعاء بإثم أو قطيعة رحم لما أخرج مسلم عن أبي هريرة τ عن النبي ε أنه قال : " لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل " قيل : يا رسول الله : ما الاستعجال ؟ قال : " يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء " .

2- الدعاء على الأهل والمال عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ε :" لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)"رواه مسلم وأبو داود وبوَّب عليه باب النهي أن يدعو الإنسان على أهله وماله .

3- الدعاء بتمني الموت لضرٍّ نزل به عن أنس τ قال : قال رسول الله ε : " لا يتمنين أحد الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي " قال أنس τ لولا أني سمعت النبي ε يقول : " لا تتمنوا الموت لتمنيته " رواه البخاري ومسلم . وفيهما عن قيس بن أبي حازم قال : " دخلنا على خباب وقد اكتوى سبع كيات في بطنه فقال: لولا أن رسول الله ρ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به" .

4- ألا يعلق دعاءه بالمشيئة ، عن أنس τ قال : قال رسول الله ε : " إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ولا يقل إن شئت فأعطني فإن الله لا مستكره له) متفق عليه ، ولهما عن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء ، لا مكره له " فدلت هذه النصوص على وجوب العزم في المسألة وتحريم تعليق ذلك بالمشيئة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه . قال سفيان ابن عيينة رحمه الله : (لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في نفسه – أي من التقصير – فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال : (رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) .

وكذلك هناك أمور تكره في الدعاء ، منها :

السجع وهو موالاة الكلام على رويٍّ واحد ، قال البخاري رحمه الله في صحيحه : باب ما يكره في السجع في الدعاء ، ثم ذكر قول ابن عباس لعكرمة : (فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ε وأصحابه لا يفعلون إلاّ ذلك الاجتناب) واعلم أن المكروه في السجع هو المتكلف لأنه لا يلائم حضور القلب والتذلل والضراعة .

ويكره الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا عن أنس τ أن رسول الله ε عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثل الفَرْخ فقال له رسول الله ε : "هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه ؟ " قال : نعم ، كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي

في الدنيا ، فقال رسول الله ε : " سبحان الله ! لا تطيقه ، أو لا تستطيعه ، أفلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" قال : فدعا الله له فشفاه .

ويكره الاعتداء في الدعاء ورفع الصوت لقول الله تعالى : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) روى أحمد وأبو داود بإسناد جيد أن سعد بن أبي وقاص τ سمع ابنه وهو يقول : (اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا) فقال : (يا بني إني سمعت رسول الله ε يقول : "سيكون قوم يعتدون في الدعاء فإياك أن تكون منهم ، إنك إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير ، وإن أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر ") زاد أحمد (قال له سعد قل : "اللهم أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل " وكذا جاء عن عبد الله بن مغفل τ .

وأما رفع الصوت فقد قال رسول الله ε : "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا فإنما تدعون سميعا بصيرا " متفق عليه عن أبي موسى τ .

قال الحسن البصري رحمه الله :(إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به ، ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً) .

واعلم أيها المسلم وخاصة أنت أيها المجاهد أنك لن تخسر في دعائك أبداً ، وهذا من فضل الله ورحمته وكرمه وجوده ولطفه بعباده ، أخرج أحمد بسند جيد من حديث أبي سعيد الخدري τ عن النبي ε قال :" ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها " وجاء عند الترمذي وصححه من حديث عبادة وزاد (فقال رجل من القوم إذاً نكثر قال:"الله أكثر") .

قال ابن حجر : (فائدة الدعاء هو تحصيل الثواب بامتثال الأمر والاحتمال أن يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لأن الله خالق الأسباب ومسبباتها) .

بل أعظم من ذلك معية الله لعبده الداعي ، في الصحيحين عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε : "إن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني" هذا لفظ مسلم .

واعلم أخي المسلم بأن هناك أوقاتاً زمانيةً ومكانيةً يتحرى فيها إجابة الدعاء من ذلك : السجود ، وثلث الليل الآخر ، وبين الأذان والإقامة ، وبعد الوضوء ، وبعد التشهد ، وأدبار الصلوات ، وبعد فعل الطاعات ، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب ، وساعة يوم الجمعة ، ومجالس العلم ، ويوم عرفة لأهل عرفة ، ودعوة المسافر ، ودعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، وعند ملاقاة العدو ، وأن هذه قد صحت الآثار فيها .

وهناك آداب للدعاء ومنها : أن يكون على طهارة ، واستقبال القبلة ، ورفع اليدين ، وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب ، وافتتاح الدعاء بالحمد والثناء ، ثم الصلاة على النبي ε ، والسؤال بأسماء الله الحسنى ، وأن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة وليعزم في المسألة بقلب حاضر وبتملق . وليقدم بين يدي دعائه صدقة ، فمثل هذا – بإذن الله – لا يرد دعائه ، إذا خلا من الموانع كأكل

الحرام أو شربه أو لبسه ،كما في حديث أبي هريرة τ " في الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك " رواه مسلم .

ويستحب للداعي أن يختار دعاءً جامعاً وهذا من هديه ε، عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ε يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك . رواه أبو داود بسند ثابت .

وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود τ في حديث التشهد المشهور قال ε : "ثم يختار من الدعاء أعجبه إليه فيدعوه " .

وهناك أدعية جامعة ،كان النبي ε يكثر الدعاء بها ، ويحث عليها كما جاء في الصحيحين عن أنس τ قال : (كان أكثر دعاء النبي ρ: " اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " وأخرج مسلم من حديث طارق بن أشيم τ قال : كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ε الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات" اللهم اغفر لي وارحمني وأهدني وعافني وارزقني " وروى أحمد وأبو داوود وابن ماجة أن النبي ε قال لفتى يقال له سُلَيْم : " يا سُلَيْم ماذا معك من القرآن ؟ " قال : إني أسأل الله الجنة ، وأعوذ به من النار ، والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال رسول الله ε : "وهل تصير دندنتي ودندنة معاذ إلا أن نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار ، ثم قال سليم : سترون غدا إذا التقى القوم إن شاء الله ، قال : والناس يتجهزون إلى أحد فخرج وكان من الشهداء رحمة الله ورضوانه عليه " هذا لفظ أحمد وسنده جيد .

وعن عبد الله بن حارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم τ قال : لا أحدثكم إلا ما كان رسول الله ε حدثنا به ويأمرنا أن نقول " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والجبن ، والهرم ، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن علم لا ينفع ، ودعاء لا يستجاب " رواه مسلم والنسائي وهذا لفظه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ε يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح : " اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي " رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة بإسناد ثابت .

فيا أهل الجهاد اعلموا أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فاسألوه أن يثبت قلوبكم على هذا المبدأ العظيم الذي خذلكم فيه القاصي والداني والعالم والجاهل إلا من منَّ الله عليه بالبصيرة في ذلك .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ε يقول : "إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء " ثم قال رسول الله ε :" اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك".

ثم نوصي كل من ظلم في سجن أبيه أو أخيه أو ابنه أو ظلم في دينه أو دنياه أن يدعو على هؤلاء الطواغيت هم وأعوانهم من المباحث والجنود وغيرهم بأن يذيقهم الله عقوبة يكون فيها شفاء لصدور أهل الإيمان ، فإن دعوة المظلوم مستجابة ليس بينها وبين الله حجاب ، وكذا لا تنسوا أن تدعوا لإخوانكم المجاهدين بأن ينصرهم الله ويؤيدهم ويخذل عدوهم وأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون.

واعلموا يا أهل الجهاد بأن المسؤولية عليكم أعظم فأروا الله من أنفسكم خيرا وأكثروا من الدعاء بالثبات والنصر على عدوكم قال تعالى : (قُلْ مَا يَعْبَؤُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) فاستنصروا بربكم ينصركم واستعينوا به يعنكم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :كان رسول الله ε يدعو يقول : " رب أعني ولا تعن علي, وانصرني ولا تنصر علي, وامكر لي ولا تمكر علي, وأهدني ويسر الهدى لي, وانصرني على من بغى علي, ربي اجعلني لك شكّاراً, لك ذكّاراً, لك رهاباً, لك مطواعاً, إليك مخبتاً, لك أواها منيباً, رب تقبل توبتي, واغسل حوبتي, وأجب دعوتي, وثبت حجتي, واهد قلبي, وسدد لساني, واسلل سخيمة صدري"رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه. وهذا هو هدي نبيكم ε جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى τ يقول : دعا رسول الله ε يوم الأحزاب على المشركين فقال : " اللهم منزل الكتاب, سريع الحساب, اللهم اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم" وفي لفظ " اهزمهم وانصرنا عليهم " وعن عمر بن الخطاب τ قال : لما كان يوم بدر, نظر رسول الله ε إلى المشركين وهم ألف, وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً . فاستقبل نبي الله ε القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه :" اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم آت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض" فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه, فأتاه أبو بكر, فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه, ثم التزمه من ورائه, وقال: يا نبي الله ! كفاك مناشدتك ربك, فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) رواه مسلم. وفي غزوة حنين قال البراء τ : فأقبل القوم إلى رسول الله ε وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته , فنزل ودعا واستنصر وهو يقول :"

أنا النــــــــــــبي لا كـــــــــــــذب أنا ابـــــــن عبـــــــد المطلـــــــب

اللهم نزل نصرك" رواه مسلم.

وكذا لا تنسوا الدعاء عند ملاقاة العدو فإنها من أعظم أسباب النصر والثبات قال تعالى : (وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) .

تنبيه : واعلم أن من أعظم الشرك على وجه الأرض هو صرف هذه العبادة العظيمة الجليلة لغير الله ، وهو أكبر شركِ المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ε فإنهم كانوا يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله فقاتلهم رسول الله ε واستحل دمائهم وأموالهم وسبى ذراريهم ونساءهم ، وأكثر شرك العالم اليوم هو دعاؤهم غير الله في تفريج الكربات, وإغاثة اللهفات ؛ بل بلغ الأمر إلى أن سألوهم مغفرة الذنوب, وترجيح الموازين, ودخول الجنات, والنجاة من النار, والتثبيت عند الموت والسؤال, وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب إلا من الله ، وهذا الشرك قد انتشر انتشاراً عظيماً حتى في أعظم المقدسات ، فما تطوف حول الكعبة , ولا بين الصفا والمروة, إلا وتسمع من ينادي بأعلى صوته يا محمد ويا علي ويا فاطمة ويا حسين ويا بدوي وغير هؤلاء ممن يدعى من دون الله ، ولا تذهب لزيارة المسجد النبوي إلا وترى العجب العجاب من دعاء النبي ε عند قبره ، وإذا ذهبت إلى البقيع لزيارة المقبرة والسلام على أهلها رأيت الجموع الغفيرة والبكاء والنحيب ودعاء الموتى وربما تسمع ذلك بمكبرات الصوت ، وإذا أردت أن تنكر هذا الشرك أو تفكر بالإنكار لقام عليك حزب الشيطان وجند الطاغوت من الطوارئ والمباحث وغيرهم بالضرب والذهاب بك إلى السجن ، وبأمر من ؟ بأمر من هم حماة التوحيد زعموا !

فيا ترى أيهم أعظم كفر هؤلاء المشركين أم حماتهم ؟ وتعجب كل العجب أيضا من عدم إنكار خطباء الحرمين وعلمائها وقضاتها لهذا الشرك الذي رأوه وسمعوا عنه ، فاتقوا الله وقوموا بإنكار هذا الشرك ولا يكن رضى الحكام المرتدين أعظم عندكم من سخط الله ، وأن رضاهم أحب إليكم من رضا ربكم ، ولا يكن حبكم للدينار والدرهم أحب إليكم من جنة عرضها السماوات والأرض ، وتعجب وتقول أهذه الديار التي طهرها رسول الله ε وصحابته من هذا الشرك ؟ وإذا بهذا الشرك يعلن به عند قبورهم .

فيا خطباء الحرمين توبوا إلى ربكم وعودوا إلى رشدكم وأنكروا هذا المنكر العظيم واحذروا مما أنتم فيه من التلبيس والتدليس والحرب على أهل التوحيد والسُنة وخاصة المجاهدين ومن ينُكر هذه المنكرات قال تعالى : (وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً) واعلموا أن سكوتكم فتنة عظيمة قال تعالى : (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) فالشرك وعدم التبرؤ منه ومن أهله وعدم إنكاره هو الفتنة .

هذا وأسأل الله أن يطهر بلاد الجزيرة وخاصة الحرمين من كل مشرك ومرتد ومن كل كافر وملحد ، وأسأله جل وعلا أن ينصر كل من أراد تطهير الجزيرة وأخذ بوصية نبيه ε في آخر حياته التي قال فيها :" أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" وقال :" لا يجتمع في جزيرة العرب دينان " وأسأله أن ينصر المجاهدين في جزيرة العرب وفي أفغانستان وفي العراق وفي الجزائر وفي فلسطين وفي الفلبين وفي الشيشان ، وأن ينصر كل من رفع راية التوحيد وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وأسأله أن يرزقنا شهادة تحت هذه الراية ، وصلى الله وسلم وبارك على من كانت منيته شهادة في سبيله نبينا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن سار على سبيله وطريقته إلى يوم الدين.

أخرجوا أموالكم في سبيل مولاكم يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإيمان والتقوى ، بالإنفاق في سبيل الله للقيام بالعروة الوثقى ، فسمحت نفوسهم ببذل الأموال في سبيله وابتغاء مرضاته وإعلاء كلمته ؛ ليحصل لهم الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي يمينه سحّاء الليل والنهار ، لا تغيضها نفقة ، وأن ما عنده لا ينقص ولا ينفد وما عند خلقه ذاهب وزائل ، أمر عباده بالإنفاق ووعدهم بالخُلف والمضاعفة والمغفرة لذنوبهم فقال : (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل : " من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعف بسبعمائة ضعف " ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته من المهاجرين الذين وُصِفوا بقوله : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ، فصَدَّقُوا أقوالهم بأفعالهم ، هجروا المحبوبات من الأوطان والخلان والأموال ، كل ذلك نصرةً لدين الله ورسوله ، فاستقبلهم قومٌ فتحوا قلوبهم وبيوتهم ، وقاسموهم أموالهم ؛ إنهم الأنصار الذين جاء وصفهم في قوله : (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ومن تبعهم وسلم تسليماً كثيراً مزيداً ، أما بعد:

فإن الله أمر عباده بجهاد عدوه ، وكما تجاهد عدوك بنفسك ، أوجب الله عليك مجاهدة عدوك بمالك قال صلى الله عليه وسلم : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم " رواه أحمد والنسائي وأبو داود بسندٍ صحيح ، وكل صاحب مال ليس له عذر في ترك الجهاد به ، بخلاف الجهاد بالنفس ، فإن أصنافاً من الناس معذورون في ترك الجهاد بالنفس ، لكنهم ليسوا معذورين في جهاد المال ، وهذا مثل الأعرج والأعمى والمريض والمرأة ، كما جاءت في ذلك النصوص قال تعالى : (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً) ، وكما قال تعالى : (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) ، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاة ، فقال : " إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه ، حبسهم العذر " قال البخاري : باب من حبسه العذر عن الغزو . وفي صحيح مسلم من حديث جابر τ قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فقال : " إن بالمدينة لرجال ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض " وكذلك النساء معذورات في الجهاد بالنفس قال تعالى: (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ! نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ، قال : " لا ؛ لكن أفضل الجهاد حج مبرور " رواه البخاري ، فهؤلاء معذورون في الجهاد بالنفس ، لكن من كان عنده مال فيجب عليه أن يجاهد بماله ، وينفقه في سبيل الله ؛ لقول الله تعالى : (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ، روى البخاري عن حذيفة τ قال : نزلت في النفقة ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن حذيفة قال : يعني بترك النفقة في سبيل الله ، وقال ابن عباس عن هذه الآية : (ليس ذلك في القتال ، إنما هو في النفقة ، أن تمسك عن النفقة في سبيل الله) . قال ابن كثير رحمه الله : (ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله ، في سائر وجوه

القربات ووجوه الطاعات ، **وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء ، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم ، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده**) أ هـ .

قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله : (وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله ، فإن النفقة فيه جهاد بالمال ، وهو فرض كالجهاد بالبدن ، وفيها من المصالح العظيمة الإعانة على تقوية المسلمين ، وعلى توهية الشرك وأهله ، وعلى إقامة دين الله وإعزازه ، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة ، فالنفقة له كالروح لا يمكن وجوده بدونها ، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله إبطال للجهاد ، وتسليط للأعداء ، وشدة تكالبهم) أ.هـ .

أما من يتخلف عن جهاد النفس أو المال مع القدرة عليها ؛ فهؤلاء قوم مطبوع على قلوبهم لنفاقهم ، وهذا لعدم جهادهم بأموالهم وأنفسهم مع أنهم ربما يدعّون أنهم من أهل الفقه والعلم ، وربما يتهمون أهل الجهاد بأنهم جهلة وسفهاء وشباب متحمسون ، وهم في حقيقة الأمر منبطحون ومتعايشون ومسالمون للأعداء ، وموالون للطواغيت لا يفتون إلا بحسب رغبتهم فجعلوا علمهم ومنابرهم لسياسة أسيادهم فقبّح الله عالماً جعل علمه لخدمة عبيد عبّاد الصليب، وقد حَكَمَ الله على من اتصف بهذه الصفات ، وهو أحكم الحاكمين ، بأن هؤلاء هم الذين لا يعلمون ولا يفقهون قال تعالى : (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) ، وقال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) .

فماذا حصل لهؤلاء القاعدين ؟! إلا الطبع على القلوب ، ونفي العلم والفقه ، ووصفهم بأنهم تشبهوا بالنساء ، فأي علم أو فقه عند من يكون مثل النساء في القعود ، فلا عليه إلا أن يخمّر وجهه ، ويُنَشَّأُ في الحلية ، ويتجمّل بالحنّاء في يديه فلو فقهوا حقيقة الفقه والعلم ؛ لم يرضوا لأنفسهم أن تنزل عن منازل الرجال إلى منازل النساء :

أفي السـلم أعيـارٌ جفـاءً وغلظـةً وفي الحـرب أشـباه النسـاء العـوارك

بل يتبجحون بتخلفهم ، ويفرحون بمقعدهم وعدم جهادهم بالنفس والمال قال تعالى : (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) ، فإذا كانوا لم يقبلوا جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحبوا القعود وفرحوا بذلك ، فكيف تريدون هؤلاء أن يناصروا جهادكم ، فيا محبي الجهاد ؛ قوموا بالجهاد بأنفسكم إن استطعتم ، فإن لم تستطيعوا فلا تنسوا جهادكم بالمال , ولا يغرنكم هؤلاء القاعدون وتلبيسهم , فإن دينكم يؤخذ بالوحي لابزخرف القول .

جاء في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني τ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا " قال البخاري : (باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) ، فو الله إنه لفضل عظيم أن تنال أجر الغزاة بشيء من المال ؛ أو تؤويهم وتخلف الغزاة في أهليهم وذراريهم .

فالله الله يا عباد الله ؛ جهزوا الغزاة وآووهم وناصروهم ، وأمدوهم بالمال والسلاح والعدة والعتاد ، وهذا هو عقد الموالاة والمحبة بين المؤمنين ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) وبيّن أن ذلك من أعظم أسباب مغفرة الذنوب ودخول جنة عدن الذي فيه الفوز العظيم ، وليس هناك تجارة أعظم ربحاً من ذلك فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ¯ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم) ، فهنا قدم جهاد المال على جهاد النفس ؛ لأنه عصب الحرب ومدد الجيش ، فبالمال يشترى السلاح وبالمال يجهز الجيش ، لأن قوام جهاد النفس بجهاد المال ، والتجارة في ذلك ربحها مضمون ، ومن الذي نادى إليها؟ من هو أرحم من الوالدة بولدها . وبيّن أن الدرهم تنفقه في سبيل الله عن سبعمائة ، والله يضاعف لمن يشاء ، قال تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) وهذا يدل على أنه خاص بالنفقة في الجهاد وعلى المجاهدين ، قال مكحول عند هذه الآية : (يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك ، وهذا الذي قال فيه قوة والله أعلم).

أخرج مسلم عن أبي مسعود الأنصاري τ قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لك بها يوم القيامة ، سبعمائة ناقة ، كلها مخطومة " نسأل الله لنا ولكم من فضله وأن لا يحرمنا، فإن المحروم من حرم نفسه هذا الخير ولا يضر إلا نفسه ، لأن الله سبحانه لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه عطاء ، بل من أنفق نفقة في سبيل الله لا يريد إلا وجهه ؛ فإن الله يبشرهم بأنه ليس عليهم خوف ولا حزن في الدنيا من تخويف الطواغيت وتهديدهم لتجميد أرصدتهم أو بسجنهم أو غير ذلك ، **فيا أهل الأموال إن من أعظم سلامة دينكم ودنياكم وسبب سعادتكم في الدنيا والآخرة ؛ هو إنفاق أموالكم في الجهاد** ، **فبادروا بإخراجها** قال تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

فالمتصدق المنفق من أشرح الناس صدراً ، وأطيبهم نفساً ، وأنعمهم قلباً ، وأحسنهم خلقاً ، فإن للصدقة والإنفاق تأثيرًا عجيبًا في ذهاب همه وغمه ، وأما البخيل الممسك فإنه أضيق الناس صدراً ، وأنكدهم عيشاً ، وأكسفهم بالاً ، وأتعبهم قلباً ، فكم عذب بسببه ، وسجن قلبه في عبوديته له ، فما أعظم همه وغمه ، في الصحيحين من حديث أبي هريرة τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثل البخيل والمتصدق ؛ مثل رجلين عليهما جُنّتان من حديد ، إذا همّ المتصدق بصدقة اتسعت عليه ، حتى تُعفي أثره ، وإذا همّ البخيل بصدقة تقلصت عليه ، وانضمت يداه إلى تراقيه ، وانقبضت كل حلقة إلى صاحبتها " قال : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " فيجهد أن يوسعها فلا يستطيع " .

واعلم أيها المسلم أن ما تنفق مخلوفٌ في الدنيا والآخرة ، أما في الآخرة ؛ فلقوله تعالى : (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) وما يحصل من مضاعفة ذلك كما تقدم ، وأما في الدنيا فكما قال تعالى : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة τ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً " ولهما عن أبي هريرة τ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : " أنفق ؛ أُنفق عليك " ، وقال : " يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحّاء الليل والنهار " قال : " أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض ؛ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع " .

واعلم أيها المسلم ؛ أن قدوتك وأسوتك في ذلك هو نبيك صلى الله عليه وسلم ، فلتكن سيرتك سيرته ، وهديك هديه. قال ابن القيم رحمه الله : (كان صلى الله عليه وسلم أعظمَ الناس صدقةً بما ملكت يدُه ، وكان لا يستكثِر شيئاً أعطاه للَّهِ تعالى، ولا يستقِلُّه، وكان لا يسألُه أحدٌ شيئاً عنده إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء مَنْ لا يخافُ الفقر، وكان العطاءُ

والصدقةُ أحبَّ شيء إليه، وكان سُرورُه وفرحُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخِذِ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينه كالرِّيح المرسلة ، وكان إذا عرض له مُحتاج، آثره على نفسه، تارةً بطعامه، وتارةً بلباسه).

وكان يُنوّع في أصناف عطائه وصدقته، فتارةً بالهبة، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهدية، وتارةً بشراءِ الشيء ثم يُعطي البائع الثمن والسِّلعة جميعاً، كما فعل ببعير جابر وتارة كان يقترض الشيء، فيرد أكثر منه، وأفضل وأكبر، ويشترى الشيء، فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهديَّة و يُكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطُّفاً وتنوُّعاً في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقُته وإحسانُه بما يملكُه، وبحاله، وبقوله، فيُخْرِجُ ما عنده، ويأمُرُ بالصدقة، ويحضُّ عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيلُ الشحيح، دعاه حالُه إلى البذل والعطاء، وكان مَنْ خالطَه وصَحِبه، ورأى هَدْيَه لا يملِكُ نفسه من السماحة والنَّدى) أ.هـ.

عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو كان لي مثل أحد ذهباً ، لسرَّني أن لا تمر علي ثلاث ليال وعندي منه شيءٌ إلا شيئاً أرصده لدين " متفق عليه ، قال عمرو بن الحارث يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة " رواه البخاري .

إذاً أنفق ولا تخش من القلة أياً كانت هذه النفقة ، فابذل الوسع ولوكان قليلاً ، فإن مما يغيظ عدوك إنفاقك في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، قال تعالى:(وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فلا تحقر شيئاً تنفقه في سبيل الله ، ففي الصحيحين عن عديّ بن حاتم τ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اتقوا النار ولو بشق تمرة ".

وإن من ينفق على المجاهدين في حال ضعفهم ، أعظم أجراً ممن ينفق عليهم في حال قوتهم ، وتأييد الناس لهم ، قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وكذلك ليُعلم بأن أهل الإيمان لا يعتذرون عن الجهاد بالأموال والأنفس مهما بلغت الحال ، بخلاف الخوالف فربما يتعذر أحدهم بالخوف أو عدم الاستطاعة أو مما هو ليس عذراً ، قال تعالى في وصف المؤمنين : (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) وهذا حال المؤمنين الصادقين قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).

فيا أهل الجهاد أنفقوا أموالكم في سبيل الله ولا تنظروا لتهديدات شياطين الإنس والجن وتخويفهم ، قال تعالى : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، ولربما يخوفك بأنك إذا أنفقت ستكون فقيراً، فلا تنظر لما يعدك به من الفقر قال تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) فمن تجيب ، أتجيب داعي الشيطان ؛ لتكون معه قال تعالى : (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) ، أما علمت بأن أعداءك ينفقون أموالاً عظيمةً لقتالك ، وصدك عن دينك ، ونشر الفساد في الأرض ، فانظر كيف ينفقونها وهم يعلمون بأنهم صادرون إلى النار ، وأنت أيها المسلم تبخل أن تجاهد بمالك نُصرة لدينك ودفاعاً عن نفسك ومالك وعرضك قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) ، أم تجيب داعي الله الذي وعدك إذا أنفقت بمغفرةٍ منهُ وفضل ، وأخبر أنه واسع عليم ، واسع العطاء عظيم الإحسان إذاً ها أنت

الآن تدعى للجهاد بالمال والنفقة في سبيل الله ، وتجهيز الغزاة ، فهل تستجيب ؟ أم تبخل ، فيرجع بخلك على نفسك والله الغني وأنتم الفقراء قال تعالى : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) ، واعلم أن من يبخل بماله فسيُعذب به في الدنيا والآخرة ، كما هو حال المنافقين قال تعالى : (وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) .

لـئن كانت الأرزاق قسماً مقدراً ... فقلة حرص المرء في الرزق أجملُ
وإن كانت الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخلُ
وإن كانت الدنيا تُعدُّ نفيسة ... فقدر ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن كانت الأبدان للموت أُنشِئتْ ... فقتل امرئ في الله بالسيف أجملُ

إذا علم ذلك ؛ فهل يُغبط الممسك للمال غير المنفق له ؟ بل هذا سببُ تعاسته وشقاوته ، قال صلى الله عليه وسلم : "تعس عبدالدينار و عبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يُعطَ سَخِط ، تعِس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش.." رواه البخاري عن أبي هريرة τ ، بل يعذب ويُمَثَّلُ له شجاع أقرع ويطوّقون ذلك في أعناقهم ، عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من آتاه الله مالاً فلم يُؤدِّ زكاته ، مُثِّل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان ، يُطَوِّقُهُ يوم القيامة ، ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يعني شدقيه – ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية : (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) رواه البخاري ، وهكذا كل من قدم شيئًا على طاعة الله عُذب بِهِ قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)، عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة ، صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جَنْبُهُ وجَبِيْنُهُ وظَهْرُهُ ، كُلَّما رُدّتْ أُعيدت له ، في يوم كان مقداره ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار " ، رواه مسلم ، وأخرج أبو موسى المديني بإسناده في الترغيب والترهيب قال : دخلت امرأةٌ على عائشة قد شُلَّت يدُها فقالت : يا أم المؤمنين ، بتُّ البارحة صحيحة اليد فأصبحت شلاَّء ! قالت عائشة : وما ذاك؟ قالت : كان لي أبوان موسِران ، كان أبي يعطي الزكاة ويقري الضيف ويعطي السائل ولا يحقر من الخير شيئاً إلاّ فعله ، وكانت أمي امرأة بخيلة ممسكة ، لا تصنع في مالها خيراً ، فمات أبي ثم ماتت أمي بعده بشهرين فرأيت البارحة في منامي أبي وعليه ثوبان أصفران ، بين يديه نهرٌ جارٍ ، قالت : يا أبه ما هذا ؟ قال : يا بنيه ، من يعمل في هذه الدنيا خيراً يره ، هذا أعطانيه الله تعالى . قالت فما فعلت أمي ؟ قال : وقد ماتت أمك ؟! قلت : نعم ، قال : هيهات ؟ عدلت عنّا ، فاذهبي فالتمسيها ذات الشمال ، فملت عن شمالي ، فإذا أنا بأمي قائمة عريانة متزرة بخرقة ، بيدها شُحيمة تنادي : والهفاه ، واحسرتاه ، واعطشاه . فإذا بلغها الجهد دلكت تلك الشُحيمة براحتها ثم لحستها ، وإذا بين يديها نهرٌ جارٍ ، قلت : يا أماه ما لك تناديت العطش وبين يديك نهرٌ جارٍ ؟! قالت : لا أترك أن أشرب منه . قلت : أفلا أسقيك ؟ قالت : وددت أنك فعلت ، فغرفت لها غرفة فسقيتها ، فلمَّا شربت نادى منادٍ من ذات اليمين : ألا من سقى

هذه المرأة شُلَّت يمينه مرتين ، فأصبحتُ شلاَّء اليمين ، لا أستطيع ان أعمل بيميني . قالت لها عائشة : وعَرَفْتِ الخرقة ؟ قالت : نعم يا أمَّ المؤمنين ، وهي التي رأيتها عليها ، ما رأيت أمي تصدَّقت بشيءٍ قط ، إلا أن أبي نحر ذات يومٍ ثوراً ، فجاء سائل فعمدت أمي إلى عظمٍ عليه شُحيمة فناولتها إياه ، وما رأيتها تصدّقت بشيء إلا أن سائلاً جاء يسأل ، فعمدت أمي إلى خرقة فناولتها إياه ، فكبّرت عائشة رضي الله عنها وقالت : صدق الله وبلّغ رسوله صلى الله عليه وسلم (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) . وحسن إسناده ابن رجب .

إذاً لا يغبط إلا من أنفق ماله بالليل والنهار في السر والعلانية ؛ يبتغي بذلك وجه الله ، فهذا هو الذي يمدح صاحبه فهنيئاً والله لهذا الجنس من الناس ؛ فأموالهم مخلوفة ؛ "ما نقص مال من صدقة" وأجورهم مكتوبة ودرجاتهم مرفوعة كروبهم مفروجة ، لا همٌّ عليهم ولا غم ، آمنون إذا خاف الناس فرحون إذا حزن الناس ، قال تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) والآيات في هذا المعنى كثيرة وأما الأحاديث فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا حسد إلا على اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" رواه البخاري ومسلم ، ولهما عن ابن مسعود τ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا حسد إلا في اثنتين ؛ رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" ، وروى البخاري عن أبي هريرة τ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا حسد إلا في اثنتين ؛ رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالاً يُهْلِكُهُ في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل " ، وهذا الذي تنافس فيه الصحابة والتابعون وسلف الأمة رحمة الله عليهم أجمعين اقتداءً برسول الرحمة صلى الله عليه وسلم ، علموا أنه لا يبقى لهم إلا ما قدّموا فحرصوا على تقديمه لهم ، في الصحيحين عن أبي هريرة τ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، وإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يُرَبّيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوّه ، حتى تكون مثل الجبل " .

وعن عبد الله ابن مسعود τ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ " قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه ، قال : " فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر " رواه البخاري ، وهذا الذي جاء من فعله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما بقي منها ؟ " قالت : ما بقي منها إلا كتفها ، قال : " بقي كلها غير كتفها " رواه الترمذي وصححه ، وهكذا من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم ، لما علموا هذه المعاني ؛ بادروا بذلك وتنافسوا .

روى أبو داود بسند جيد عن عمر بن الخطاب τ قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سَبَقْتُهُ يوماً فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أبقيت لأهلك ؟ " فقلت مثله ، قال : وأتى أبو بكر τ بكل ما عنده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أبقيت لأهلك " قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أُسابقك إلى شيءٍ أبداً.

وهذا عثمان بن عفان τ يجهز جيش العسرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم " رواه الترمذي ، وجاء عند النسائي أنه قال للصَّحابة وفيهم علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص : أتعلمون أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال : " من يجهز هؤلاء غفر الله له " يعني جيش العسرة ، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطاماً فقالوا : اللهم نعم ، قال : " اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! " .

وفي الصحيحين عن أنس τ قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحاءُ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) ، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) ، وإن أحب أموالي إلي بَيْرُحاءُ ، وإنها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها ، يا رسول الله ، حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بخ ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين " ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه .

عن أنس τ أن رجلاً قال: يارسول الله ، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها ، فَأْمُرْهُ أن يُعْطِيَنِي حتى أقيم حائطي بها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أعطه إياها بنخلةٍ في الجنة " فأبى ، فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي ففعل ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي ، قال : فاجْعلها له فقد أعطيتكها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كم من عِذْقٍ رَاحَ لأبي الدّحْدَاح في الجنة " ، قالها مراراً..، قال : فأتى امرأته فقال : يا أُمَّ الدّحْداح اخْرُجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة ، فقالت ربح البيع أو كلمة تشبهها".

واعلم أيها المسلم أن من أعظم القربات هو بذل الأموال للمجاهدين في سبيل الله ، والنفقة في ذلك تضاعف ما لا يضاعف في غيرها كما تقدم ، وجاء عن خريم بن فاتك τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أنفق نفقة في سبيل الله تضعف بسبعمائة ضعف " رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي والترمذي بسند جيد ، وقد بوب عليه الترمذي والنسائي باب فضل النفقة في سبيل الله في كتاب الجهاد من سننهما .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة τ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب : أي فُلّ هَلُمّ " قال أبو بكر يارسول الله ! ذاك الذي لا تَوْىً أو تؤي عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إني لأرجوا أن تكون منهم " قال البخاري في كتاب الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله .

وعن ثوبان τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفضل دينار ينفقه الرجل ؛ دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله " رواه مسلم ، وعن أبي أمامة τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله ، ومنيحة خادم في سبيل الله وطروقة فحل في سبيل الله " رواه الترمذي وصححه ، وفي الباب عن عدي ابن حاتم .

وعن عبدالله بن مسعود τ قال : " لأن أُمَتّع _ أي أجهّز _ بسوط في سبيل الله أحب إلي من حجة في إثر حجة " رواه ابن المبارك وابن أبي شيبة بإسناد لابأس به .

روى أحمد والترمذي عن أبي حبيبة الطائي رضي الله عنه قال : أوصي إلي أخي بطائفة من ماله ، فلقيت أبا الدرداء ، فقلت : إن أخي أوصى إلي بطائفة من ماله فأين ترى لي وضعه في الفقراء أو المساكين أو المجاهدين في سبيل الله ؟ فقال: أما أنا فلو كنت لم أعْدِلْ بالمجاهدين ، وقد صححه الترمذي.

بل أفضل ما تُصْرف فيه الأوقاف والوصايا ؛ هو للمجاهدين والغزاة ، وخاصةً الذين في الثغور والرباط ، وهذا ولله الحمد قريباً منكم يا أهل الجزيرة ، فالجهاد في الجزيرة قام لإعلاء كلمة الله وتطهير الجزيرة من أعداء الله ، سواءً من الصليبين أو من سائر الكفرة والمرتدين ، فناصروهم وآووهم وأمدوهم بالأموال والسيارات والأسلحة واخلفوهم في أهليهم وافتحوا بيوتكم إذا احتاجوا لذلك . اللهم اجعلنا ممن يبذلون نفوسهم وأموالهم في سبيلك .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

هذا موسكم ... يا أهل الجهاد

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والعاقبة للمتقين ، ولا إله إلا الله إله الأولين والآخرين ، الذي لا فوز إلا في طاعته ، ولا عز إلا بالتذلل والانكسار لعظمته ، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته ، الذي إذا أُطيع شكر ، وإذا عُصيَ تاب وغَفَر ، وإذا دُعي أجاب ، وإذا سُئلَ أعطى ، اللهم اجعلنا أفقر عبادك إليك ، وأغنى خلقك بك ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون) تفضّل على هذه الأمة بصيام شهر رمضان ، وفضّله على سائر الشهور ، وجعل لياليه العشر الأواخر خير الليالي ، وجعل في هذه الليالي ليلةً هي أفضل الليالي ، قيامها عن ألف شهرٍ في الفضل والخيرية ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، كان أجود ما يكون في رمضان ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً .. أما بعد :

فإن الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية خالصة لله عز وجل ، ولما كان المقصود من الصيام هو زكاة النفس وحبسها عن شهواتها وفطامها عن مألوفاتها وتطهيرها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ، لطلب غاية سعادتها وتذكيرها بتلك الأكباد الجائعة ليوجب عليها مواساة الفقراء والمعدمين ، وتضييق عليه مجاري الشيطان فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فبالصيام يضعف نفوذه ، فهو لجام المتقين وقرة عيون الأبرار المقربين ، وجِنّةٌ من النار كجنة المحاربين ، هو سرٌ بين العبد وربه لا يطّلع عليه سواه ، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجله ، فهو أمرٌ لا يطّلع عليه بشر ، وهذا هو حقيقة الصيام ، ولذا قال ربنا في الحديث القدسي: "(الصوم لي وأنا أجزي به)" متفقٌ عليه ، واعلم أن للصوم تأثيرٌ عظيم في حفظ جوارح الإنسان الظاهرة ، وهو يحافظ على صلاح القلب أيضاً .

فيا أهل الجهاد : هذا موسمكم لتتنافسوا فيه ، واعلموا أن سبب تكفير الذنوب : الجهاد والاستشهاد ، وكذلك رمضان سببٌ لتكفير الذنوب كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفراتُ ما بينهنّ إذا اجتُنبَتِ الكبائر " رواه مسلم .

وكونوا كالريح المرسلة في هذا الشهر اتباعاً لهدي رسولكم صلى الله عليه وسلم ، فإنه أكمل هدياً فاستنوا به واقتدوا بأفعاله ، فكان أجود الناس ، وكان أعظم ما يكون بالجود في شهر رمضان ، جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، فإذا لقِيَه كان أجود بالخير من الريح المرسلة) .

ولما كان الله أكمل نبيه صلى الله عليه وسلم على أكمل الأخلاق والأعمال وأشرفها ؛ كان جوده بجميع أنواع الجود من بذل نفسه لله في إظهار دينه وإعلاء كلمته وإيصال النفع إليهم ، ومن نشر العلم وبذل المال ، وإطعام الجائع ووعظ الجاهل وقضاء الحوائج ، وفكّ العاني ، وهذا من نشأته صلى الله عليه وسلم كما قالت خديجة رضي الله عنها في قصة نزول الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعينُ على نوائب الحق) متفقٌ عليه .

ثم بعد بعثته تضاعفت خصال الخير عنده أضعافاً كثيرة ، وتزداد هذه في رمضان ، فمن هذه الأعمال التي ينبغي لكل مسلم التنافس فيها – وخاصةً المجاهدون – لأن المجاهد يجاهد بأعماله لا بقوته وكثرته ، كما قال أبو الدرداء : إنما تقاتلون بأعمالكم[1].

فبادروا باستغلال هذا الشهر في الجود والمسابقة فيه بالأعمال الصالحة ، فإن كثرة الأعمال في حال الصيام من أعظم أسباب دخول الجنة ، ولأن النفوس في حال صيامها تتنافس بكثرة الأعمال ، فعن أبي هريرة صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أصبح منكم اليوم صائماً ؟" قال أبو بكرٍ : أنا ، قال :" فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ "قال أبو بكرٍ : أنا ، قال :" فمن أطعم اليوم مسكيناً ؟ " قال أبو بكرٍ : أنا ، قال :" فمن عاد منكم اليومَ مريضاً ؟ "قال أبو بكرٍ : أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة " رواه مسلم .

وتكثر خاصةً في شهر رمضان ، لأن فيه تُفتّحُ أبواب الجنة ، وتغلقُ أبواب النار ، وتُسلْسَلُ الشياطين ، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

ومن هذه الأعمال :

أولاً : **الصيام** ، فقد أوجب الله سبحانه وتعالى عليكَ أيها المسلم صيامَ شهرِ رمضان ، قال تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه " أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال : يا رسول الله ؛ أخبرني ماذا فرَضَ الله عليّ من الصلاة ؟ فقال : الصلوات الخمس إلا أن تطوّعَ شيئاً ، فقال : أخبرني ماذا فرض الله علي من الصيام؟ فقال : شهر رمضان إلا أن تطوّعَ شيئاً ، فقال : أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة ؟ فقال : فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائعَ الإسلام ، قال : والذي أكرمك لا أتطوعُ شيئاً ، ولا أنقصُ مما فرضَ الله عليّ شيئاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفلح إن صدق " ، أو " دخل الجنة إن صدق " متفقٌ عليه .

وقد تواترت الأحاديث في وجوب صيام شهر رمضان ، بل لقد جاء بأن في الجنة بابًا خاصًا بأهل الصيام ، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن في الجنة باباً يقال له : الريّان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخلُ منه أحدٌ غيرهم ، يُقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرهم ، فإذا دخلوا أُغلِق فلم يدخل منه أحد " .

والصيام كفارةٌ للذنوب ، جاء في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال : " قال عمر رضي الله عنه : من يحفظُ حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة ؟ قال حذيفة : أنا ، سمعته يقول : فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة " قال البخاري رحمه الله : باب الصوم كفّارة ، وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من صام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدّم من ذنبه " .

وهذا مشروطٌ بشروط : أن يصومه إيماناً واحتساباً ، وكذلك أن يحفظ صيامه مما ينبغي أن يُتحفّظَ منه ، أخرج أحمد وابن حبّان بسندٍ لا بأس به عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من صام رمضان وعرَفَ حدوده ، وتحفّظَ مما ينبغي له أن يُتَحَفّظَ فيه ؛ كفّرَ ما كان قبله " .

[1] وأخبر صلى الله عليه وسلم أن النصر له أسباب ومن أسبابه ؛ وجود الضعفاء والمساكين الصالحين الذين هم عند المنبطحين والمنهزمين القاعدين ؛ سببٌ للهزيمة ، قال صلى الله عليه وسلم : " هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم " قال البخاري رحمه الله : باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ..

والصوم حصنٌ وسترٌ لك من النار ، لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة τ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الصيامُ جُنَّةٌ " ، فالجُنّةُ هي ما يستجنّ به العبد كالمِجَنّ الذي يقيه عند القتال من الضرب ، فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا ، فإذا وقاه من المعاصي ؛ كان له في الآخرة صيامه جنةٌ من النار ، ومن لم يكن له جنةٌ في الدنيا من المعاصي ؛ لم يكن له جُنّةٌ في الآخرة من النار .

وجاء عند سعيد بن منصور في سننه : " الصيام جُنّةٌ من النار " ، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الصيام جُنّةٌ من النار " رواه النسائي ، وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال " رواه أحمد والنسائي وابن ماجةَ وابن خزيمة وصححه وإسناده جيّد ، قال ابن عبد البر رحمه الله : (حسبك بكون الصيام جنة من النار فضلاً) ، وقال ابن العربي : (إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساكٌ عن الشهوات والنارُ محفوفةٌ بالشهوات) .

ثانياً : **قيام رمضان** : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحثُّ ويرغّبُ في قيام رمضان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغّبُ في قيام رمضان من غيرِ أن يأمرَهم فيه بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدّم من ذنبه " رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظه .

واعلم أن أفضل الصلوات بعد الفريضة هي صلاة الليل ، جاء عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " وخاصةً أن الليل أحرى أن يُستجاب فيه للعبد دعاؤه ، جاء في صحيح مسلم عن جابرٍ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة " ، والأولى للمسلم أن يكون قيامه في ثُلثُ الليلِ الآخر ، وذلك لنزول الرب سبحانه وتعالى نزولاً يليق بجلاله وعظمة سلطانه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزلُ ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له " متفقٌ عليه .

وصلاة آخر الليل أفضل ؛ لأنها صلاةٌ مشهودةٌ محضورة ، فعن جابرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خاف أن لا يقومَ من آخر الليل فليوتر أوّلهُ ، ومن طمِعَ أن يقومَ آخره فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل " رواه مسلم ، وأخرج أحمد وابن ماجةَ والترمذي عن عمرو بن عبَسَةَ رضي الله عنه قال : " أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ؛ هل من الساعات ساعةٌ أفضلُ من الأخرى ؟ قال : جوف الليل الآخر أفضل ، فإنها مشهودةٌ متقبّلةٌ حتى تصلّي الفجر " ولفظ الترمذي وصححه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أقربُ ما يكون الربُّ من العبدِ في جوف الليل الآخر ، فإن استطعتَ أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعةِ فكن " . وجاء من وجوهٍ متعددة ، وفي الباب عن معاذٍ وأبي ذر وأبي أمامة وغيرهم رضي الله عنهم .

واعلم أيها المسلم أن قيامك مع الإمام في صلاة التراويح حتى ينصرف ؛ يكتب لك به قيام ليلة ، فعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قام مع الإمام حتى ينصرف ؛ كُتِبَ لهُ قيامُ ليلة " رواه أبو داود والنسائي والترمذي وصحّحَه .

قال الترمذي رحمه الله : (واختلف أهل العلم في قيام رمضان ، فرأى بعضهم أن يصلي إحدى وأربعين ركعةً مع الوتر، وهو قول أهل المدينة ، والعملُ على هذا عندهم بالمدينة ، وأكثر أهل العلم على ما رُوي عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ عشرين ركعة)، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي ، وقال الشافعي : (وهكذا أدركتُ ببلدنا بمكة ، يصلون عشرين ركعة) ، وقال أحمد : (رُوي في هذا ألوان ؛ ولم يقضَ فيه بشيء ، وقال إسحاق : بل نختار إحدى وأربعين ركعة على ماروي عن أبي بن كعب ، واختار ابن المبارك وأحمد واسحاق ؛ الصلاةُ مع الإمام في شهر رمضان ، واختار الشافعي أن يصلي الرجلُ وحدهُ إذا كان قارئاً) أ.هـ .

والذي يتبيّن بأن صلاة الليل لا تُحدّدُ بعدد معيّن من الركعات ، قال تعالى : (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) ، ولقوله صلى الله عليه وسلم لما سُئَلَ عن صلاة الليل فقال : " صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خشي أحدكم الصبحَ صلى ركعةً واحدة تُوترُ له ما قد صلّى" متفقٌ عليه عن ابن عمر رضي الله عنه .

ولكن أفضل ذلك كله أن يكون إحدى عشرة ركعة ، لما جاء في الصحيحين أن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأل عائشة رضي الله عنها : كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ قالت : " ما كان يزيدُ في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة " ، لكن يكون ذلك بإطالةٍ في القراءة مع الطمأنينة والخشوع في الصلاة ، لا كحال كثير من الأئمة ؛ يتنافسون فيمن يخرج من الصلاة أولاً !

ثالثاً : **الصدقةُ وإطعام الطعام** : وهي من أعظم أسباب دخول الجنة وتكفير السيئات ، وخاصةً في رمضان وذلك لشرف الزمان ، قال تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) ، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيُّ الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف " .

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرحام ، وصلّوا والناس نيام ؛ تدخلوا الجنة بسلام " رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه .

وخاصةً إذا كان إطعام الطعام للجائع ، لقوله تعالى (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) . ولما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أطعموا الجائع ، وعودوا المريضَ ، وفكّوا العاني " رواه البخاري .

ومعلومٌ أن الإنسانَ في حالِ صومهِ يكون جائعاً ، فإطعامه وتفطيره له مزية على غيره ، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من فطّر صائماً كان له مثل أجره غيرَ أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً " رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه[2] ، قال الترمذي : باب ما جاء في فضل من فطّر صائماً .

[2] والصواب أن هذا الحديث منقطع ، لأنه من رواية عطاء بن أبي رباح عن زيد بن خالد ، ولم يسمع عطاء من زيد كما ذكر ذلك علي بن المديني .

وكذلك الصدقة في حال الصيام ، كما تقدّم في حديث أبي هريرة : من أصبح منكم صائماً ؟ .. الحديث ، قال ابن رجب رحمه الله : " إن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغُ في تكفير الخطايا واتقّاء جهنم والمباعدة عنها " .

والصدقة برهانٌ على صحة إيمان العبد ، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " .. والصدقة برهان .. "الحديث ، رواه مسلم .

وقد جاء بأن الصدقة تطفئ الخطيئة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : " ألا أدلّك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنّةٌ والصدقةُ تطفئ الخطيئةَ كما يطفئ الماءُ النارَ .. " الحديث ، رواه أحمد والنسائي وابن ماجة والترمذي وصحّحه[3] .

وإن الصدقةَ سببٌ لوقايتك من النار ، لما جاء في الصحيحين من حديث عديّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اتقوا النارَ ولو بِشقِ تمرة " .

رابعاً : قراءة القرآن في رمضان : لأن القرآن في رمضان له خصوصية ، وليس كغيره من الشهور قال تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) ، وقال : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ، وخاصةً في الليل ، وذلك لتواطؤ القلبِ واللسان على تدبّر آي القرآن ، قال تعالى : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلًا) ولأن القرآن نزلَ في الليل ، قال تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ..) الآية ، وحيث إن جبريل في كل ليلة من رمضان ينزلُ فيدارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن في كل عام ، إلا في آخر حياته صلى الله عليه وسلم ، كما قال ذلك لابنته فاطمة رضي الله عنها ، قال : " إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنةٍ مرة ، وإنه عارضني العامَ مرتين ، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري فإني نعم السلف أنا لك " رواه البخاري ومسلم .

ودلّ على استحباب تدارسه وتعلّمِهِ وتعليمِهِ ما أخرج مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " ، وعن عقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه قال : خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصُّفَّة ، فقال : " أيّكم يُحبُّ أن يغدو كل يوم إلى بُطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثمٍ ولا قطيعةِ رحم ؟ فقلنا : يا رسول الله ، نحنُ نحبُّ ذلك . قال : أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلمَ أو يقرأَ آيتين من كتاب الله عزّ وجل خيرٌ له من ناقتين ، وثلاثٌ خير له من ثلاث ، وأربعٌ خير له من أربع ، ومن أعدادهنّ من الإبل " رواه مسلم .

واعلم أن القرآن يشفع لصاحبه يومَ القيامة ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامةِ شفيعاً لأصحابه " رواه مسلم .

والمقصود بأن شفاعةَ القرآنِ لأهله الذين يعملون به ، فعن النواس بن سمعان τ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يؤتى بالقرآن يومَ القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجّان عن صاحبهما " .

والقرآن يشفع لمن منعه النومَ بالليل ، وتدبّرهُ وعملِ به ، أخرج أحمد والنسائي بسندٍ صحيح أنه عندما ذُكرَ شريح الحضرمي عند النبي صلى الله عليه وسلم أثنى عليه فقال : " ذاك رجلٌ لا يتوسّد القرآن " أي لا ينام عنه .

---

[3] والصواب في هذا الحديث أنه منقطع ، لأن أبا وائل لم يسمع من معاذ ، وله طريقٌ آخر عن شهر بن حوشب عن معاذ , ولم يسمع شهر من معاذ مع ضعف شهر ، فالصواب بأن الحديث معلول .

وكما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا حَسَدَ إلا في اثنتين : رجلٌ آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار .. " الحديث .

أما من حفظ حروفه وضيّعَ حدوده كما هو واقعُ الكثير من حفظة القرآن ، فإن القرآن يكون حجةً عليه يوم القيامة ، وسبباً لعذابه في البرزخ ويوم القيامة ، جاء في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه رجلاً مضجعاً على قفاه ، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة ، فيشدخُ به رأسه ، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه ، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه ، وعادَ رأسهُ كما هو فعاد إليه فضربه ، فقلتُ : من هذا ؟ قالا لي : الذي رأيتَه يُشدخُ رأسه فرجلٌ علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار ، يُفعلُ به إلى يوم القيامة .. " الحديث .

ويــــلٌ لمـــــن شـــــفعاؤه خصــــماؤه والصـــــورُ في يــــومِ القيامـــــةِ يُـــــنفخُ

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرفَ بليله إذا الناسُ نائمون ، وبصومه إذا الناس مفطرون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبورعه إذا الناس يخلطون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناسُ يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون" قال محمد بن كعب : كنا نعرفُ قارئ القرآن بصفرة لونه ، أي من طول التهجّد .

قال أحمد بن أبي الحواري : إني لأقرأ القرآن وأنظرُ فيه آيةً آيةً فيحيرُ عقلي بها ، وأعجبُ من حفّاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ، أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقّه وتلذذوا به واستحْلَوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما قد رُزقوا .

مــــــن يُــــــرِدْ ملــــــك الجنـــــان فليــــــــدع عنـــــــــه التــــــــواني
ولــــــــيقمْ في ظلمــــــــة اللــــــــ ــــــــــيلِ إلى نــــــــورِ القُـــــــرانِ
وليصــــــــــل صــــــــوماً بصــــــــوم إن هــــــــذا العــــــــيش فــــــــاني
إنمـــــــا العــــــــيش جــــــــوارُ اللهِ في دارِ الأمــــــــــــــــانِ

خامساً : **الدعاء** : وخاصةً في حال الصيام ، فإنه من أحرى أوقات الإجابة ، ولذا جعل الله آية قربه من داعيه وإجابته لدعوته بين آيات الصيام ، قال تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ، إذاً على العبد الدعاء وعلى الله الإجابة ؛ فألحّوا على الله بالدعاء يا عباد الله ، خاصةً وقد اجتمع لك مع الصوم ؛ شرفُ الزمان الذي تُفتَّحُ فيه أبوابُ الجنة وتُغلقُ فيه أبواب النار . إذاً الصومُ مظنةٌ لإجابة الدعاء كما جاء في المسند وسنن الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر .. " الحديث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا دُعيَ أحدكم فليجب ، فإن كان صائماً فليصلِّ ، وإن كان مفطراً فليطعم" رواه مسلم ، قوله : كان صائماً فليصلِّ : أي فليدعو ، وهذا دليلٌ على إجابة دعوة الصائم ، فيدعو لمن دعاه مكافأةً له على دعوته إياه ، وكذلك يحرص الصائم على الدعاء والاستغفار وقت الأسحار ، لأن وقت السحر وقتُ نزول الرب سبحانه وتعالى ، وقد أثنى الله على من يدعوه ويستغفره في هذا الوقت ، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: " من

يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له " متفق عليه ، قال تعالى : (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) وقال تعالى : (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فاستغلّ أيها المسلم هذا الوقت فإنَّ فيه فضيلتين : فهو وقت السَّحرِ وأكلة السحور ، قال صلى الله عليه وسلم : " تسحّروا فإن في السحور بركة " متفقٌ عليه عن أنس[4] .

سادساً : **الجهاد في سبيل الله** : فهذا موسمكم يا أهل الجهاد ، فإن الجهاد في حال الصيام ، وخاصةً لشرف الزمان شهر رمضان له مذاقٌ عظيم عند أهل الإيمان ، فما أحلى أن تفرح بالإفطار , وتتطعم بقتل الكفار , وتتلذذ بسماع بكاء الأرذال من الطواغيت والفجار, وتنديد في القنوات من المتعايشين والأشرار , على موت أسيادهم وعبيدهم الكفار ، فهو شهر جلادٍ واستشهاد وفتوحات وإظهار للدين وإذلال للكافرين ، وإن أعظم الغزوات وأفضلها كانت في رمضان ، فيوم الفرقان الذي طُيّرت فيه رؤوس صناديد كفار قريش غزوة بدر التي أمد الله نبيه والمؤمنين فيها بنصرٍ من عنده وبجندٍ من جنده ، كانوا أذلةً فأعزهم الله بعد هذه الغزوة ، قال تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ..) الآية ، وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدرٍ في ثلاثمائة وخمسة عشر ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إنهم حفاةٌ فاحملهم ، اللهم إنهم عراةٌ

[4] واعلم أن في أكلة السَّحَرِ إظهاراً لمخالفة أهل الكتاب ، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : " فصلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر " رواه مسلم ، واعلم أن السنة في أكلة السحور هو التأخير ، لا كما يفعل بعض الناس اليوم ، يأكل في وسط الليل ، ويبادر في سحوره ، بل السنة خلاف ذلك ، قال تعالى : (وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) وفي الصحيحين عن عائشةَ وابن عمر رضي الله عنهما أن بلالاً رضي الله عنه كان يؤذن بليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر" ، وفي لفظٍ : "وكان رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له : أصبحتَ أصبحت" وهذا يدلُّ على استحباب تأخير السحور إلى أن يتبيّن الصبح ويظهر ، قال عمرو بن ميمون : "كان أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم أسرع الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً " رواه عبد الرزاق بسندٍ صحيح ، قال ابن عبد البر : أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور ؛ صحاحٌ متواترة.

وهذه المسألة قد أحدث الناس فيها خلاف الشرع ، حيث إنهم يؤذنون على حسب التقويم ، ويبكّرون في أذان الفجر قبل الوقت ، فيترتب على ذلك منع الناس من حقهم في الأكل والشرب حتى يتبيّن الصبح ، وأيضاً يمنعُ الناس من الدعاء في وقت السحر ، وأيضاً : النساء في البيوت يبادرن بالصلاة قبل الوقت من حين سماعهن للأذان ، وكذلك مبادرة الأئمة بصلاة الفجر خاصةً في رمضان فيجعلون الناس يُصلّون قبلَ الوقت ، وقد تتبعتُ الوقتَ منذ أعوام فرأيتُ أن التقويم والمؤذنين يؤذنون قبل الوقت في كثير من الأحيان فعلى المسلم أن يتحري لدينه، وقد ذكر شيخ الإسلام أن المؤذنين في دمشق يؤذنون قبل الوقت.

قال ابن حجر عند شرحه لباب " تعجيل الإفطار " تنبيه : من البدع المنكرة ما أُحدِثَ في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان ، وإطفاء المصابيح التي جُعِلت علامةً لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام ، زعماً ممن أحدثه أنه للاحتياطِ في العبادة ، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس ، وقد جرّهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت – زعموا – فأخّروا الفِطرَ وعجّلوا السحور وخالفوا السنة ، فلذلك قلّ عنهم الخير ، وكثيرٌ فيهم الشرّ ، والله المستعان " أ.هـ

فإذا تبيّن ذلك ؛ فلا تبرأ ذمة المؤذن بأن يؤذن على حسب التقويم أو الإذاعة ، بل يجب عليه أن يتبيّن طلوع الفجر كما أمره الله – في أذان الفجر – ، وكذلك لا يجوز للإمام أن يصلي قبل الوقت ، والذي لديه شكٌ أو ريب فلا يسعه إلا أن يخرج ويرى الصبح بنفسه لأن الله أمرَ بالتبيّن والخطاب عام ، قال تعالى : (وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) والصبح ليس فيه خفاء كما قال ذلك الحسن البصري .

وكذلك مما يبتدعه بعض المؤذنين – خاصةً في العشر الأواخر من رمضان – إيقاع الأذان الأول قبل الأذان الثاني بساعة فأكثر ، وهذا العمل من البدع ، وبعضهم ينادي من أجل أن يقوم الناس لصلاة القيام ، ومتى كان للقيام أذان ؟ فاتقوا الله ، ولا تُحدثوا في دين الله ما ليس منه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : " إن بلالاً كان يؤذن بليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر ، قالت : ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويصعد هذا " رواه النسائي وأصله في الصحيحين ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان : بلالٌ وابن أم مكتوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن بلالاً يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم " قال : ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا . رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظه وقال : وعن عائشة رضي الله عنها بمثله ، وجاء عند أحمد من حديث أنيسةَ بنت خبيب .

فاكسهم ، اللهم إنهم جياعٌ فأشبعهم ، ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجلٌ إلا وقد رجع بجملٍ أو جملين ، واكتسوا وشبعوا ". رواه أبو داود بسندٍ جيد .

وكان الصحابة في غاية الضعف والقلّة ، وكان معهم سبعين بعيراً يعتقبونها بينهم ، كل ثلاثة على بعير ، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم زميلان ، عن عبد الله بن مسعود قال : (كنا في غزوة بدر كل ثلاثة منا على بعير كان علي وأبو لبابة زميلَي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا كان عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قالا : اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك فيقول: " ما أنتما بأقوى على المشي مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما ") رواه الإمام أحمد بسندٍ جيد . وفي رمضان فُتِحَت البلادُ وقلوب العباد بالفتح العظيم – فتح مكة – الذي من أجله دخلت الناس في دين الله طوعاً وكرهاً وأسلمت القبائل ، فسُمّيَ عامَ الوفود ، ولذا قال جل وعلا : (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجِبَ ربنا عز وجل من قومٍ يُقادون إلى الجنة بالسلاسل " رواه البخاري وأبو داود وهذا لفظه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند قوله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..) قال : " خير الناس للناس ، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام " ، رواه البخاري ، وروى أحمد بسندٍ صحيح عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : " أسلم ، قال : أجدني كارهاً ، قال : وإن كنتَ كارهاً " .

وهل يُغيظُ أعداءَ الله إلا الجهاد ؟ فهذا قائدهم إبليس كان يوم بدرٍ يشجّع الكفار ويعدهم ويمنيّهم ، فلما رأى الملائكة ، هرب وألقى نفسه في البحر ، قال تعالى : (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

وفي الموطأ مرسلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما رؤيَ الشيطان أحقرُ ولا أدحرُ ولا أصغرُ من يوم عرفة إلا ما رأى يومَ بدر ، قيل : وما رأى يوم بدرٍ يا رسول الله ؟ قال : أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة " . فإبليس عدو الله يسعى جهده في إطفاء نور الله وتوحيده ، ويغري بذلك أولياءه من الكفار والمنافقين ، ويستخف بهم ، وكذلك شياطين الإنس اليوم ، كما يحصل من طواغيت الجزيرة في تشجيعهم لعبيدهم من المباحث والشُرَط ويعدونهم ويعدون شعوبهم بالأموال والعطايا والتوسيع عليهم في أمور دنياهم ، قال تعالى : (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا) ، وكما قال السحرة لفرعون : (إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) وهكذا أيضاً استخفّ هؤلاء الطواغيت بأنكم تكونوا شهداء للوطن بعد موتكم ويصلي عليكم أمير المنطقة وتُرفّعُ رتبةً بعد موتك وقد ضُمَّ عليكَ قبرك واختلفت أضلاعك وجاءك عملك الخبيث – قتالك حمايةً للصليب ودفاعاً عن الطواغيت – وفُتِحَ لك باب إلى النار وهي دارك ؛ فماذا تقول ؟ رب لا تقم الساعة ؟ ثم يوم القيامة كلما دخلت أمةٌ لعنت أختها .

فيا أهل الجهاد في كل مكان : إن في رمضان لجهادَين ؛ جهادٌ في النهار بالصيام ، وجهادٌ في الليل بالقيام ، فقم أيضاً بجهاد عدوك باليد وقدّم نفسك ومالك لقتال عدوك ؛ اقتداءً بنبيك صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ، وإغاظةً لعدوك .

فالله الله يا أهل الجهاد ، فنصرُ دينِ الله يكون كما قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه) ، وقد امتلأت البلاد من الفتن والكفر ، **فيا أهل الجهاد طهّروا البلاد من الكفر والكافرين بالجهاد والجلاد والسيف والسنان ، ولا تغتروا بقوة الكفار ، فإن قوتهم مهما عظمت فهي تحت قهر الله وتدبيره ، واعلموا أن الله ناصركم ومؤيدكم كما وعدكم ، واستغلّوا هذا الشهر العظيم ، فإنه قد جمعَ أعمالاً عظيمة ، وقد اجتمع في هذا الشهر صيام وقيامٌ وتلاوةٌ للقرآن وغير**

ذلك من الأعمال الصالحة ، إذاً استعينوا بربكم وقاتلوا عدوكم ، وطهّروا الجزيرة من الكفار ، طهّر الله قلوبكم وأعمالكم من الذنوب والعصيان ، قال ابن حزم رحمه الله :

منـــاي مـــن الـــدنيا علـــومٌ أبثهـــا — وأنشـــــرها في كـــــل بادٍ وحاضـــــرِ
دعـــاء إلى القـــرآن والســـنن الـــتي — تناســـى رجـــالٌ ذكرهـــا في المحاضـــر
وألـــزمُ أطـــراف الثغـــور مجاهـــداً — إذا هيعـــــةٌ ثارت فـــــأول نافـــــرِ
لألقـــى حِمـــامِي مقـــبلاً غـــيرَ مـــدبرٍ — بسُـــمْرِ العـــوالي ، والرقـــاقِ البـــواترِ
كفاحـــاً مـــع الكفـــار في حومـــة الـــوغى — وأكـــرمُ مـــوتٍ للفـــتى قتـــلُ كـــافرِ
فيـــا رب لا تجعـــل حِمـــامِي بغيرهـــا — ولا تجعلـــنّي مـــن قطـــينِ المقـــابر

واعلم أيها المسلم أن من أعظم ما تتقرب به إلى الله ترك ما حرّمه الله في كل حال ، قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) ، وفي الصيام بخصوص ، جاء في الأثر : " ليس الصيام من الطعام والشراب ، إنما الصيام من اللغو والرفث " قال جابر : " إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقارٌ وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء " [5].

وختاماً .. شهر رمضان موسمٌ يتنافس فيه الأبرار بفعل الطاعات وترك المنكرات ، وهو شهر الغفران والعتق من النيران ، فإذا لم يغفر للعبد في هذا الشهر فأرغم الله أنفه ، كيف يخرجُ هذا الشهر وأنت ما زلت متلبسٌ بالذنوب والعصيان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رغم أنف رجلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يصل عليّ ، ورغم أنف رجلٍ دخل عليه رمضان فانسلخ قبل أن يُغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبرَ فلم يدخلاه الجنةَ " رواه أحمد والترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان وإسناده جيد ، إذاً ، فهذا شهرٌ تُقال فيه العثرات ، وتستجاب فيه الدعوات ، فتب إلى الله من جميع الذنوب والسيئات ، واحذر من التساهل في المعاصي والمنكرات ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

[5] إذاً فاتقّ الله أيها الصائم ، يا من يجلس عند التلفاز والقنوات ويقرأ في الجرائد والمجلات ، أما علمتَ أن سلف الأمة يتركون قراءة الحديث ويُقْبِلون على القرآن في رمضان كما فعل ذلك مالك ، وروى عبد الرزاق قال : كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان أقبل على تلاوة القرآن ، وكذا ذهب إلى ذلك جمعٌ من السلف ، أتظن في نفسك يا من يقرأ الجرائد والمجلات ، ويجلس عند القنوات ويتابع المسلسلات بأن السلف ضلّوا وأنتَ اهتديت ؟ أما تستحي يا من يصوم في نهاره من الأكل والشرب ، وبعد صلاة المغرب ينظر ويسمع إلى المسلسلات كـ طاش ما طاش التي يقال فيها الكفر الصراح والاستهزاء بالدين وأهله ، أما تخشى أيها الجالس أن تقع فيما وقعوا فيه من الكفر ؟! كما حكم الله ، قال الله تعالى : (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) وكذا من يشاهد الأفلام والصور في الليل والنهار ، أما علمت أنه يكتب لك حظك من الزنا ، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا مدركاً ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبّه " ، وهذا لفظ مسلم .

ويا من يحيي الاستراحات في ليالي رمضان بلعب كرة الطائرة والقدم وغيرها ، أهذا وقتُ لعب ؟! العدو قد ملأ البر والبحر وأنت تلعب ؟ ما هو جوابك إذا وقفتَ بين يدي الله وسألك عن ليالي رمضان ؟ أهذا جوابك : كنت ألعب فيها الطائرة والقدم وغيرها من الألعاب ؟ ثم يتلاعب بك الشيطان فيقول بأنك تتقوى بها على طاعة الله ، أو أن ذلك من باب الدعوةِ إلى الله .

أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "وليس اللهو إلا في ثلاث : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله"، رواه ابن أبي شيبة وأهل السنن عن عقبة بن عامر ، وفي لفظٍ : "كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته أهله فإنهن من الحق" رواه الترمذي وصححه .

" من لم يدع قول الزور والعمل به ؛ فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه " قال البخاري : باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم وذكر هذا الحديث .

وأسأل الله أن يتقبل منا ومن جميع المسلمين الصيام والقيام وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويرزقنا الشهادة في سبيله , وصلى الله وسلم على خير من صلى وصام وقاتل الكفار نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تمسكوا بكلمة التوحيد يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي أمر عباده أن يوحدوه ، ويطيعوه ، ولا يعصوه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلاهيّته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، فأشهد تعالى نفسه وهو أصدق القائلين وكفى به شهيداً ، وقرن شهادة الملائكة وأولي العلم بشهادته فقال : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالدين القويم ، والمنهج المستقيم ، أرسله الله بشيراً ، ونذيراً ، وحجةً على الخلائق أجمعين ، ورحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أما بعد :

فكلمة التوحيد سبب مقتض لدخول الجنة وللنّجاةِ من النار ، لكن لابد من إتيان الشروط ، فمن صدق في قولها لم يخش أحداً إلا الله ، ولم يحب سواه ولم يرجُ إلا إياه ، ولم يتوكل إلا على الله ، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه ، ومع ذلك لا يُطالب المحب بالعصمة إنما المطلوب منه كلما زلت قدمه أن يتوب إلى ربه , فإن كلمة التوحيد كلمة عظيمة وفضائلها لا تستقصى عداً .
لأجلها أُرسِلَت الرّسل كما قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) .
لأجلها أُنزِلت الكتب كما قال تعالى : (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) .
هي كلمة الإخلاص والتقوى ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنّي لأعلمُ كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حَرُم على النار " فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أنا أُحدّثك ما هي .. هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهي كلمة التقوى التي ألاصَ عليها نبي الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب عند الموت : شهادة أن لا إله إلا الله) رواه الإمام أحمد بسند جيد .
إن أول واجب على المكلفين معرِفَتها قال تعالى : (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) .
إن العلم بها أوجب العلوم وأشرفها قال تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) .
أن من لقي الله مع العلم بها دخل الجنة ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة " رواه مسلم .
من لقي الله يبتغي بها وَجه الله إلا حرُم على النار ، عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فإن الله قد حرّم على النار من قال لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله " متفق عليه .
أن أهلها لا يخلدون في النار لو دخلوها ، عن أنس رضي الله عنه قال : حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي ؛ لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله " متفق عليه .
أن من مات عليها دخل الجنة ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فجلست إليه فقال : " ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " متفق عليه .

أن أسعد الناس لنيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم هم أهلها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : " لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً قِبَلَ نفسه " رواه البخاري .

أن سؤال الأولين والآخرين عنها ، قال البخاري : قال عدة من أهل العلم في قول الله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عن قول لا إله إلا الله .

أنها أفضل ما قاله النبيون ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له " رواه مالك مرسلاً وجاء موصولاً عند الترمذي وغيره ولا يخلو كل طريق من ضعف وأقواها مرسل مالك .

هي الكلمة التي من قالها صدَّق الله قائلها ، فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدَّقه ربه وقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر .." الحديث رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، والترمذي ، والصواب في هذا الحديث أنه موقوف على أبي هريرة ، حكمه حكم الرفع لأنه لا يكون من قبيل الرأي .

أن من فضلها يُفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ، عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ – أو فيسبغ – الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء " رواه مسلم .

من أجلها شرع الجهاد وضرب رؤوس الناس حتى يقولوها ويقوموا بحقها في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا اله إلا الله عصم مني نفسه وماله إلا بحقه ، وحسابه على الله " .

أنها أفضل الأعمال وحرزٌ من الشيطان ، وتعدل عتق الرقاب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتبت له مائة حسنة ، ومُحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه " متفق عليه .

أنها أعظم كلمة تُوُسِّلَ صلى الله عليه وسلم بها إلى الله ، قال تعالى : (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) .

بها يجدد العبد ما اندرس من إيمانه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من حلف فقال في حلفه : واللات والعزّى ، فليقل : لا إله إلا الله " متفق عليه .

ما فُرّجت الكروب بمثل كلمة التوحيد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكَرْب : " لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب والأرض ورب العرش الكريم " متفق عليه .

أنها لا يعدلها شيء في الميزان ، جاء عند أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن نبي الله نوحاً صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة قال لابنه : آمرُك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأراضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهنّ لا إله إلا الله " وإسناده حسن .

أنها البطاقة التي ترجِحُ بسائر سجلات الأعمال ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله عز وجل يَسْتخلِصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشُرُ عليه تسعةً وتسعين سجلاً ، كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحافظون ؟ قال : لا يا ربّ ، فيقول : ألك عذرٌ أو حسنة ؟ فيُبهت الرجل ، فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنةً واحدةً ، لا ظُلم اليوم عليك ، فتُخرَج له بطاقة ، فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : أحضروه ، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟! فيقال : إنك لا تُظلَم ، قال : فتوضع السجلات في كفّة ؟ قال : فطاشت السجلات ، وثَقُلَت البطاقة ، ولا يَثقُل شيء بسم الله الرحمن الرحيم " رواه أحمد والترمذي وابن ماجة , وإسناده لا بأس به .

أنها عاصمة للدم والمال لمن قالها وهو كافر بما يعبد من دونها ، عن طارق ابن أشيم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرُم ماله ودمه وحسابه على الله " هذا مقتضى كلمة التوحيد ، فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته قال تعالى : (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّار) فكَفَّرهُ تعالى باتخاذ الأنداد أياًكان هذا النّد من شجر أو حجر أو قبر أو بشر أو نظام أو هيئة طاغوتية يُتحاكم إليها ، أو تعطيل لشيء من الشرع ، أو تحليل شيء مما حرم الله ، أو تحليل شيء مما أحل الله ، أياًكان هذا النّد ، سواءكان في شرك الطاعة أو الدعوة أو المحبة أو الإرادة والقصد ، هذه أنواع الشرك في العبادة.

قال ابن القيم : (وكثيرٌ منهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم – من المشايخ – أعظم مما يغضبون إذا انتُقص رب العالمين , وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث إذا حرَد [أي غَضِب] .

وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ، ولم تتنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة[6] ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ديدناً له ، إن قام وإن قعد ، وإن عثر وإن مرض ، وإن استوحش ، فذكرُ إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه وهو لا ينكر ذلك , ويزعم أنه باب حاجته إلى الله ، وشفيعه عنده ، ووسيلته إليه ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذوها من البشر) أ.هـ .

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً ، والبراءة منه وممن فعله ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) وقال: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ

[6] قلت : فكيف لو رأى هؤلاء المباحث والطوارئ وعباد نايف الذين لو سُبّ عندهم نعلي نايف " أبو لهب هذا الزمان " لغضبوا أشد من غضبهم لو سب الله ورسوله ، وهذا هو الواقع اليوم ، حيث يبيع أحدهم نفسه في سبيل إرضاء هؤلاء الطواغيت بما يقومون به من قتال أهل التوحيد ومناصرة عباد الصليب ، فهل هناك شرك للطاعة أعظم من ذلك ؟! ما الجواب حينما يقول الله تعالى بأي ذنب زهقت تلك الأرواح ؟ وبأي جريمة دوهمت البيوت ؟ وبأي شرع استحلت تلك المحارم ؟ أين عقولكم لو لم يكن هناك دين ؟ أين عروبتكم – إن لم يكن لكم دين – في ترويع الآمنين ؟ عقول قد مرجت ، ودين قد سلب , وشهامة ذهبت كلها من أجل أصحاب العيون الزرق هؤلاء الصليبيين وإرضاء لعبيدهم .

دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) فهذه الآيات ؛ تضمنت جميع ما تقدم من التّحريض على التوحيد ، والموالاة لأهل التوحيد ، ومحبتهم ونصرتهم قال تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فولاية بعضهم بعض مستمرّة في الدنيا والآخرة .

في الدنيا كما قال تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) وهذا هو وصف أهل الإيمان ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يتحقّق الإيمان إلا بأمور ؛ قال الله تعالى فيها : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

وبعد الموت قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) .

وفي الآخرة قال تعالى : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

وكذلك تكفير من ترك التوحيد بفعل الشرك المنافي له ، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فإنهما ضدان لا يجتمعان ؛ فمتى وُجِد الشرك انتفى التوحيد ، ونفي الشرك والبراءة منه ، وتكفير من فعله ، وإظهار العداوة والبغضاء له وقتاله ، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت إذاً لابد من قطع المودة والموالاة في ذلك .

وهذا في الدنيا كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) .

وبعد الموت قال تعالى : (وَلاَ تصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) وكذا بعد دفنه ؛ قال صلى الله عليه وسلم : " لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم " متفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ، قال تعالى : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) .

وفي الآخرة قال تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ) .

وقد جعل الله ولاية الكافرين بعضهم لبعض قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) .

وسواء كانوا قريبين نسباً أو جنساً أو وطناً أو بعيدين ، لأن هذه الأمور لا تقرّب ولا تبعّد قال تعالى : (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

فإذا قطعت بينك وبين الكافر المودة فَلا بدّ من إظهار العداوة بقتاله كما قال تعالى : (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) وقال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) ، والآيات والأحاديث في ذلك لا تحصى .

ولا بد من تكفيرهم لقوله "كفرنا بكم " وأنه لا إيمان لمن لا يُكَفِّر أهل الكفر ، ولا بد من التصريح في كفرهم ، **لا كما هو الواقع بتسمية الكفار غير المسلمين ، أو أن هذا الطريق لغير المسلمين ؛ بل لا بد من تسميتهم " الكفار " باسمهم الذي سماهم الله به ، إنما هذا عدم جرح لشعور الكفار ، وأعظم من ذلك جعل الأُخوَّة من باب المواطنة والإقامة كما يقال : أخي المواطن .. أخي المقيم ، ولا ترى أو تسمع أخي المسلم ، وعقد الأخوة والولاء والبراء على هذه الأمور دعوة لوحدة الأديان ، وعدم تكفير الكفار** والله عز وجل يقول : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) .

بل لا يتم الإيمان إلا بالتكفير ، كما قال ذلك وفد عبد قيس للنبي صلى الله عليه وسلم أن بيننا وبينك كفار مُضَر ، وكما قال الطُّفيل : (يا رسول الله إن دوساً كفرت وأبت) ، وكما في قوله تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً) .

بخلاف ما عليه كثير من الناس إذا أراد أن يعيب من يُكَفِّر الكُفار ؛ قال لا يَعرِف أحكام الوضوء أو الصلاة ثم يأتي ويُكفِّر ، **نعم ؛ تعلم تكفير الكفار وأصل الإيمان قبل تعلم أحكام الوضوء والصلاة** ، لأن أوّل ما فرض الله علينا الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، كما بين الله ذلك في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم في سنته ، وهذه هي أوّل دعوة الرسل كلهم قال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) وجاء في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بني الإسلام على خمس ، على أن يعبد الله ويكفر بما دونه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان " فإذا دلّ الدليل من الكتاب أو السنة على كفر أحدٍ فيجب العمل بذلك ، لأن القرآن لم ينزَّل والرسول لم يرسل إلا بالعمل بما جاءا به .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : (فالله الله يا إخواني ؛ تمسكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ، وأُسّه ورأسه ، شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها ، وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم ، وأبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يُكَفِّرهم ، أو قال : ما عليَّ منهم ، أو قال: ما كلّفني الله بهم ، فقد كذب على الله وافترى ، فقد كلّفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم) أ.هـ .

قال ابن رجب رحمه الله : (فإن تحقيق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصدقه فيها ، وإخلاصه بها ، يقتضي أن يرسخ فيه تألُّهُ الله وحده إجلالاً وهيبةً ومخافةً ومحبةً ورجاءً وتعظيماً وتوكلاً ، ويمتلئ بذلك ، وينتفي عنه تألُّهُ ما سواه من المخلوقين ، ومتى كان كذلك لم يبق فيه محبةٌ ولا إرادةٌ ، ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه ، وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفوس وإراداتها ، ووساوس الشيطان فمن أحب شيئاً وأطاعه وأحب عليه وأبغض عليه فهو إلهه فمن كان لا يحب ولا يبغض إلا لله ، ولا يوالي ولا يعادي إلا له ، فالله إلهه حقاً ، ومن أحب لهواه وأبغض له , ووالى عليه وعادى عليه ، فإلهه هواه ، كما قال تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ))أ.هـ .

فكلمة التوحيد التي رفعت اليوم بالشعارت والأعلام ، لم تُحارب ويُحارب أهلها كما في هذا الزمان فهي كلمة تُعلَّق ولا عمل بها ، أهلها ما بين مسجون وقتيل وطريد ، فهي كلمةٌ من يدّعيها كثير ومن يعمل بها أقل القليل أهلها خائفون مختفون ، ومُحاربون ممن ينتسب إليها ظلمًا وزورًا .

قال ابن تيمية رحمه الله : (وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفرٍ ، أو وُلِدوا على الإسلام والتزموا شرائعه ، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ، فهم مسلمون ومعهم إيمانٌ مجمل ، لكنّ دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصلُ شيئاً فشيئاً ، إن أعطاهم الله ذلك ، وإلا **فكثيرٌ من الناس لا يَصِلونَ إلى اليقين ، ولا إلى الجهاد ، ولو شُكِّكوا لشكّوا ، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا** ، إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأُ الريب ، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال , فهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وإن ابتُلوا بمن يدخلُ عليهم شبهاتٍ توجب ريبتهم فإن لم يُنعِم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين ، وانتقلوا إلى نوعٍ من النفاق " أ.هـ .

والمقصود مما تقدم ؛ أنّه لا يمكن إعلاء كلمة الله ، وأن يكون الدين كله لله إلا بأمرين عظيمين ؛ العلم والبيان،والسيف والسنان ، وقد جمَع الله بينهما في قوله : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

فالهدى والعلم ، والسيف والرمح ؛ بهما بعثته صلى الله عليه وسلم ، جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدي الله الذي أُرسِلتُ به " ، وبُعِثَ أيضاً بالسيف والرمح كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بُعِثتُ بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعِل رزقي تحت ظل رمحي ، وجُعِل الذلة والصَّغار على من خالف أمري ، ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم" رواه أحمد وابن أبي شيبة بإسنادٍ لا بأس به .

إذاً بُعث صلى الله عليه وسلم داعياً بالقرآن ، والحجة والبيان ، فمن لم يستجب دُعي بالسيف والسنان ، وكان من أسمائه الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، في الصحيحين عن جُبير بن مطعم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنّ لي أسماء : أنا محمد وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحوا الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد " .

إذاً أُرسِل بإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه ، قال تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ، فإن لم يقبلوا هدى الله كما قال تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) .

فإذا صار منهم الإعراض عن الحق والمكابرة في ذلك واتبعوا الباطل فليس لهم إلا حصد رؤوسهم كما قال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : " احصدوهم حصداً " رواه مسلم , وهذا لعظم انقياده لأمر ربه في كل من أعرض عن قبول الحق قال تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) .

وأن من قُتِل منهم صار إلى النار ومن قُتِل من المسلمين قال الله عنه : (سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) ، وهذه هي حياة المؤمنين ، دعوهم الكافرين إلى الكتاب والسنة ، وتبيين ذلك لهم ، فإن أبوا قوتلوا وهذا هديه صلى الله عليه وسلم مع المشركين بل كان يعدهم بالذبح قبل أن يشرع الجهاد بقوله " لقد جئتكم بالذبح " ووصف عمرو بن عبسة هذه الحال فقال : "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً ، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً ، جرآء عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، وقلت له : ما أنت ؟ قال : " أنا نبي " فقلت : وما نبي ؟ قال : " أرسلني الله " فقلت : وبأي شيءٍ أرسلك ؟ قال : " أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء " قلت له : فمن معك على هذا ؟ قال : " حرٌ وعبد " رواه مسلم . انظر بماذا أرسل.. أرسل لتكسير الأصنام وأن يُوحّد الله ، وهل يكون تكسير الأصنام إلا بالقوة والجهاد ؟! كما حصل ذلك بعد فتح مكة ، وكان يخبر بذلك وهو مستخفٍ قد تجرأ عليه المشركون .

فحياة الناس إذاً بهذين الأمرين ، كما جمع الله ذلك فيهما الحياة السعيدة ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) ، فالحياة الحقيقية هي حياة من استجاب ظاهراً وباطناً لله ورسوله ، فهؤلاء الأحياء وإن ماتوا ، قال قتادة : هذا هو القرآن الذي فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة ، وقال السدي : هو الإسلام أحياهم بعد موتهم بالكفر .

قال ابن القيم رحمه الله عن قوله تعالى (لِمَا يُحْيِيكُمْ) : (الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة ، أما في الدنيا فإن قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد ، وأما في البرزخ فقد قال تعالى : (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ، وأما في الآخرة فان حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم) أ.هـ .

قال عروة بن الزبير : (قوله (لِمَا يُحْيِيكُمْ) يعني للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذلّ ، وقوّاكم بها بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر لكم ، قال ابن إسحاق والواحدي وغيرهم من المفسرين : ((لِمَا يُحْيِيكُمْ) هو الجهاد) , قال الفرّاء : (إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم يريد إنما يقوى بالحرب والجهاد ، فلو تركوا الجهاد ضعُف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم) ا.هـ , قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته : (لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل) .

وهذا هو الواقع ما صارت الأمة لهذا المستوى من الذل ، حتى وصل بهم الأمر من شدته أنه لا يستطيع أحدٌ أن يكفّر الكفار ولا الدعاء عليهم على المنابر وغير ذلك ، بل وصل الأمر إلى أن عدونا يتصرف في أمورنا كلها سواءً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً ، أما محاربتهم للدين فحدِّث ولا حرج قال تعالى : (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وأما حسدهم في سائر الأمور فقال تعالى : (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وهاهم أعداء الله اليوم قد زادوا في تكشير أنيابهم في عداوتهم للإسلام وأهله .

إذاً لا يمكن أن يرجع للأمة عزتها إلا بالجهاد والنكاية بالعدو ، وهذه هي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمن جاء يزور مريضاً ، أخرج أحمد وأبو داود بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل : اللهم اشف عبدك ، ينكأُ لك عدواً أو يمشي لك إلى الصلاة " .

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمجاهدة بالسيف واللسان ، أخرج أحمد بسند صحيح أن كعب بن مالك حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشِّعْر ما أنزل ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشِّعر ما قد علمت ، وكيف ترى فيه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه " .

فالقرآن والجهاد تحيى به القلوب الحياة الطيبة ، وأعظم من قام بهذين الأمرين لإعلاء كلمة التوحيد هو سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ومعه صحابته الأطهار رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن القيم رحمه الله في الفروسية : (والفروسية فروسيتان : فروسية العلم والبيان ، وفروسية الرمي والطعان ، ولما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان ، والبلاد بالسيف والسنان ، وما الناس إلا هؤلاء الفريقان ، ومن عداهما فإن لم يكن ردءاً وعوناً لهما فهو كَلٌّ على نوع الإنسان ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجدال الكفار والمنافقين ، وجلاد أعدائه المشاقّين والمحاربين ، فعُلم أن الجدال والجلاد من أهم العلوم ، وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد ، ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء ، والرفعة وعلو المنزلة في الدارين ، إنما هي لهاتين الطائفتين وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما) أ.هـ .

وفي الختام نسال الله أن يجعلنا ممن قام بهذين السلاحين ؛ سلاح العلم وسلاح الجهاد تأسياً بسيد الأولين والآخرين الذي أرغم الله به أنوف الكافرين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كانوا رهباناً بالليل أسوداً بالنهار وسلم تسليماً كثيراً .

فاستقيموا إلية واستغفروه يا أهل الجهاد

الحمد لله الذي منَّ على من شاء بالاستقامة على الصراط المستقيم ، بلزوم كلمة التقوى والعروة الوثقى حتى أتاهم من ربهم اليقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد:

فإن الله بفضله وكرمه أمر عباده بالاستقامة والمداومة على الأعمال والثبات على ذلك، قال تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ)، فبين تعالى أنه أمر خليله وعباده بالاستقامة وهي ضد الطغيان الذي هو مجاوزة الحدود.

والاستقامة هي لزوم الطاعة والمداومة عليها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر عند قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) : " أي استقاموا والله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب" رواه ابن المبارك وابن جرير[7].

قال الحسن : "استقاموا على أمر الله، وعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته"، وقال ابن زيد: "على عبادة الله وطاعته".

ومعلوم أن أعظم الطاعة هو توحيد الله وإفراده بالعبادة، وعدم جعل شريك معه، قال تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ). والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. قال ابن رجب رحمه الله: (والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ويسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك) اهـ.

وإن من أعظم نعم الله على عبده معرفة الصراط المستقيم وسلوكه، ولذا تجد العبد المسلم في كل ركعة يسأل المولى أن يهديه هذا الصراط الذي لا اعوجاج فيه حينما يقرأ قوله تعالى : (اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ) الذي من سلكه لم يلتفت بقلبه إلى ما سوى ربه لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكل ، فلا تستشرف قلوب من سلك الصراط المستقيم إلى غيره.

بل لا يحبون إلا الله ، ولا يرجون سواه ، ولا يخافون غيره كائناً من كان ، بل يعلمون بأن نواصي العباد كلها بيده وحده يصرفها كيف يشاء ، فمن علم بأن نفسه بيد ربه وسيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه ، وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاءه بيده سبحانه ليس إلى العبد منه شيء ومن علم فقره وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً ، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم ، ولم يعلّق أمله ورجاءه بهم ، فهنا يستقيم توحيده وتوكله وعبوديته كما قال هود لقومه : (فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) .

فوصف نفسه بأنه على صراط مستقيم ، ووصف كلماته فقال : (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

فخبره كله صدق ، وقضاؤه كله عدل ، وأمره كله مصلحة ، والذي نهى عنه كله مفسدة ، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته ، وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته .

فكل ما أخبر به فهو حقٌ لا مرية فيه ولاشك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ، فإنه لا ينهى عن مصلحة، فأفعاله كلها مصالح وحكم ورحمة وعدلٌ وخير ، فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله البتة ، لخروج الشر عن الصراط المستقيم .

[7] وإسناده منقطع .

أسمعتم ما وصف الله به نفسه وما جاء به يا دعاة الديموقراطية الكافرة اللعينة ، ويا من يتحاكم إلى الهيئات الطاغوتية والأنظمة الجائرة والقوانين الوضعية ؟ ويا أصحاب الدعوات العلمانية الشهوانية .. اسمعوا يا أيتها الخنازير البشرية أصحاب الفكرة الكافرة الخاطئة الخاسئة ، قال تعالى : (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ) يا أصحاب الأفكار الفاجرة المخالفة للحس والعقل ، وللوحي السماوي وتشريع الخالق الباري : (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أي : في قوله وفعله وقضاءه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه .

يا سبحان الله! ماذا حُرم المعرضون عن نصوص الوحي، واقتباس العلم من مشكاته من كنوز الذخائر؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟ حُرِموا والله الوصول بعدولهم عن منهج الوحي، وتضييعهم الأصول، وتمسكوا بأعجازٍ لا صدور لها، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها، قال تعالى: (وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ). دَرَسَت معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودَثَرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت ألويته وأعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفَلَت كواكبه النيرة من أفاق نفوسهم فلذلك لا يُحبونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها فليسوا يبصرونها. فياَ شِدَّة الحسرة عند ما يعاين المبطل سعيه وكَدَّه هباءً منثوراً، ويا عُظْمَ المصيبة عند ما يتبين بَوارقَ أمانيه خُلَّباً وآماله كاذبة غروراً، **فما ظنُّ من انطوت سريرته على البدعة والهوى، والتعصب للآراء بربه يوم تُبلى السرائر؟ وما عذر من نبذ الوحيين وراء ظهره في يوم لا تنفع الظالمين فيه المعاذر؟ أفيظن المعرض عن كتاب ربه وسنة رسوله أنْ ينجوا من ربه بآراء الرجال؟** أو يتخلص من بأس الله بكثرة البحوث والجدال، وضروب الأقيسة وتنوع الأشكال، أو بالإشارات والشطحات، وأنواع الخيال؟ هيهات والله ، لقد ظن أكذبَ الظن وَمَنَّتْهُ نفسه أبين المحال ، وإنما ضُمنت النجاة لمن حَكَّم هدي الله على غيره، وتزود التقوى وائتم بالدليل، وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من الوحي بالعروة الوثقى [8]، قال تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)، وقال تعالى: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

وقد ذكر الله عز وجل منته على كليمه موسى وأخيه هارون عليهما السلام فقال : (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) ثم قال بعد ذلك : (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم) ، ولما وصف خليله محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام ، فقال : (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) فهذا وصفٌ له صلى الله عليه وسلم ولدينه الذي جاء به والقرآن الذي أنزل عليه .

وهذا وصفٌ لدعوته صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أي : إنك يا محمد لتدعوهم إلى دين الإسلام وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، كما قال تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) واعلم أن من تمام النعمة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن غفر له ذنبه متأخره ومتقدمه أتم ذلك عليه بقوله : (وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) وأنه صراطٌ مفصلٌ واضحٌ بين لمن أراد الله شَرْحَ صدره ، قال تعالى : (وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) .

يا من يطلب نجاته .. والله ليس لك خيار إلا طريقٌ واحد ، هو الطريق الموصل إلى الله ، وهو ما بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل به كتابه ، لا يمكن أن يصل أحدٌ إلا من هذا الطريق ، ولو أن الناس أتوا بكل طريقٍ واستفتحوا من كل باب ، فالطُرُقُ عليهم

[8] من كلام ابن القيم بتصرف.

مسدودة والأبواب مغلقة إلا الطريق السوي الموصل إلى الله الذي أمر الله باتباعه فقال : (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال : هذه سبيل الله ، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : " هذه سُبُلٌ على كل سبيلٍ شيطان يدعو إليه " ثم قرأ (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) رواه أحمد بإسنادٍ جيد . قال حذيفة رضي الله عنه: (يا معشر القرّاء استقيموا فقد سَبَقْتُم سبقاً بعيدًا , فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً) رواه البخاري . فالطريق الموصل إلى الله واحد، وهو الصراط المستقيم، وبقية السبل كلها سبل الشيطان، من سلكها قطعت به عن الله، وأوصلته إلى دار سخطه وغضبه وعقابه.

ورحم الله ابن القيم حيث قال : (ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه ، مريداً لسلوك طريقٍ مرافقه فيها في غاية القلة والعزة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرّد ، وعلى الأنس بالرفيق ، نبّه الله سبحانه على الرفيق في هذا الطريق وأنهم هم : (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) . فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له ، وهم الذين أنعم الله عليهم ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرّده عن أهل زمانه وبني جنسه ، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم ، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له ، فإنهم الأقلون قدراً ، وإن كانوا الأكثرين عدداً ، كم قال بعض السلف : عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين ، وإياك وطريق الباطل ولا تغترّ بكثرة الهالكين .

وكلما استوحشت في تفرّدك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغضّ الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإن صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفتّ إليهم أخذوك وعاقوك) .

إذاً أخي المسلم إذا عرفت الطريق المستقيم فاحمد الله على ذلك واستقم على سلوكه، خاصة في هذا الزمان الذي قل فيه المعين على الحق والثبات عليه، فإذا رأيت السائرين إلى الله وإلى جنته بلزوم التوحيد والسنة والجهاد فاستقم معهم، واحذر أن تنحرف عنهم يمنة أو يسرة فتهلك مع الهالكين. أي الرجلين أهدى من كان تائهاً في الضلال غارقاً في الكفر، قد انتكس قلبه واسود فصار الحق الأبلج عنده باطلاً، والباطل المظلم حقاً؟

ومن كان عالماً بالحق، موثراً له، عاملاً به في جميع أحواله، على طريق واضح بَيّن، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة، أيهما أهدى قال تعالى: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). وهذه الاستقامة هي التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها فقال: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ). وهذا أمر له ولأمته كما قال تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ).فبين الله تعالى أن الاستقامة على ما أمر الله وفرض لا على ما يرى العبد من المصالح والآراء والقياس الفاسد , إنما الأمر اتباع وانقياد .

أخرج مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: "قل آمنت بالله ثم استقم". والعبد مهما سعى في الاستقامة فلا بد من وجود خلل وتقصير فأمره ربه بالاستقامة والاستغفار، فقال تعالى: (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ). فيجبر هذا النقص بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع. فعن عائشة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم "سددوا وقاربوا" متفق عليه. ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدُّلْجَة، والقصد القصد تبلغوا". والمراد بالتسديد: هو العمل بالسداد والاستقامة عليه، وهو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم به علياً فقال : "قل اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم" رواه مُسلم. إذاً السداد هو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد. فإن لم تستطع على السداد فالمقاربة وهي: أن يقرب من الاستقامة بحسب

طاقته، كالذي يرمي الغرض، فإن لم يُصبه يقاربه. فإن طريق القصد والمقاربة أقل من السداد في العمل، لكنه لم يخرج عن الجادة وهي الصراط المستقيم، واعلم أن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد الذي يكون على انحراف عن الصراط المستقيم. أخرج مالك بلاغًا وأحمد وابن ماجة مسندًا عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن"[9].

قال ابن عبد البر: (قوله سددوا وقاربوا يُفسر قوله استقيموا ولن تحصوا، يقول سددوا وقاربوا، فلن تبلغوا حقيقة البر ولن تطيقوا الإحاطة بالأعمال، ولكن قاربوا، فإنكم إن قاربتم ورفقتم كان أجدر أن تدوموا على عملكم) أ.هـ.

واعلموا أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال: (يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون , فإن الله لا يمل حتى تملّوا , وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قلّ) وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملا أثبتوه . وقال صلى الله عليه وسلم : "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" قال القاسم بن محمد : (وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته) . وقال: "اكلفوا من الأعمال ما تُطيقون". وقال: " سددوا وأبشروا "كلها عن عائشة رضي الله عنها في الصحيحين .ولهما عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله , لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل" . ولهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان أحب العمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يداوم عليه صاحبه) . وسألها مسروق فقال: أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (الدائم). إذاً فالطريق إلى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه وأمر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه. فالشأن كل الشأن أن تتعرف إلى الله في كل أيامك وشهورك وسنواتك، (وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). وعبادة الله لا تنقطع دون الموت مع وجود العقل، قال تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ). فإن اليقين هنا هو الموت بإجماع أهل التفسير، كما قال الله عن أهل النار (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ). وكما في صحيح البخاري في قصة موت عثمان بن مضعون رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أما عثمان فقد جاءه والله اليقين". وأما من زعم أنه يصل إلى درجة تسقط عنه فيها التكاليف والعبادة فلا واجب ولا حرام عليه، فهذه في الحقيقة منزلةٌ عالية في الزندقة والكفر بالله ورسوله، وهذا ما يقع عند غلاة الصوفية الذي هلك طاغوتهم الأكبر [محمد بن علوي مالكي] قريبًا أسأل الله أن يخلي منهم الدور ويملأ منهم القبور، وأن يتابع بهلاك كل طاغوت وزنديق ومرتد.

واعلم أن طريق الحق قليل سالكه، ومن سلكه ربما يرجع في أثناء الطريق وينقطع، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى، فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء، (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ). إذا كان الثبات عزيزاً فتضرع بين يدي مولاك بأن يُثبتك على دينه، قال تعالى: (يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء). قال ابن جرير رحمه الله: وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم . وقد بين الله عز وجل نعمته على أهل الاستقامة عند الموت بتبشير الملائكة له بذهاب الخوف والحزن والتبشير بالجنة ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ).

[9] قال ابن عبد البر رحمه الله : (حديث ثوبان يتصل من طرق صحاح ثابتة من حديث الكوفيين والشاميين). قلت وكل طرقه ما تخلو من مقال، لكن مجموع الطرق يقوي بعضها بعض. ويكون الحديث لا بأس به، وفي الباب عن عبد الله ابن عمرو وأبي أمامة وغيرهما.

ومن كرم الله ورحمته أنه قال: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) متفق عليه عن أبي هريرة. وفي المسند بسند جيد عن شريح قال سمعت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم: قال تعالى (يابن آدم قم إلي أمشِ إليك، وامش إلي أهرول لك).

واعلم أن من أعظم أسباب الاستقامة والثبات على الدين هو إظهار العداوة للكفار وعدم الركون إليهم وعدم موالاتهم وهي التي أمر الله نبيه وعباده بملازمتها , قال تعالى : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) فجعل الله الركون إليهم سبب للهزيمة والخذلان , وقد امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بعدم الركون إلى أعدائه (وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً). أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يا نبي الله إني أسألك بوجه الله عز وجل بم بعثك ربك إلينا؟ قال: بالإسلام. قال قلت: وما آيات الإسلام؟ قال: "أن تقول أسلمت وجهي إلى الله عز وجل وتخليت، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، كل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران، لا يقبل الله عز وجل من مُشرك بعدما أسلم عملاً أو يُفارق المشركين إلى المسلمين" . فأمره بالتخلي عن المشركين وهو نبذهم والبراءة منهم ومما يعبدون ، وهذه ملة إبراهيم الذي أخبر الله بأنه مهدي إلى صراط مُستقيم. قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). ولذا وصف الله ملته وأمرنا باتباعها بقوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ).

وإن من أسباب الاستقامة والثبات عليها المبادرة للأعمال والتنافس فيها فلا يزال العبد متنقلا في منازل العبودية دائباً في سيره ذلك فإن رأيت العلماء رأيته معهم , وإن رأيت العبّاد وجدته في العبادة معهم , وإن رأيت المجاهدين رأيته في صفوفهم , وإن رأيت المتصدقين رأيته من المحسنين معهم , وإن رأيت الذاكرين رأيت لسانه لا يفتر , وإن رأيت من حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغلٍ يشغله عنه رأيته من ضمنهم . قال تعالى: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

ومع ذلك تجده أحرص الناس على القيام بالفرائض لأنها أحب ما تكون عند الله ، فهو يتتبع ما يحب الله بدءً بالأهم فالأهم ، كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب , وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه , وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه , فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به , وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه..."الحديث .

وإن من أهم أسباب الاستقامة إتباع العلمِ بالعمل قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)

ومن أسباب الاستقامة دعاء المولى بلزومها والثبات عليها، كما في الدعاء في قراءة الفاتحة، في قوله: (اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ)، وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: "اللهم مُصرِّفَ القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك"رواه مسلم .

ومن أسباب الاستقامة: جهاد الكفار، كما قال تعالى: (وَالّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ).

قال ابن جرير رحمه الله : "أي لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة, وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه, فجاهد فيه أهل الشرك, مُصَدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له, والنصرة على من جاهد من أعدائه" وقال تعالى: (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتجز ويقول :

والله لـــــــولا اللهُ مـــــــا اهتـــــــدينا ولا تصـــــــــــدّقنا ولا صــــــــــلّينا
فــــــــأنزِلنْ ســــــــكينةً علينــــــا وثبّـــــــتِ الأقـــــــدامَ إن لاقينـــــا

ومن أسباب الاستقامة على الدين زيارة القبور والتفكر بالموت وكربته، والقبر وظلمته، والقيامة وأهوالها ، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " زوروا القبور ، فإنها تُذكِّرُ الموتَ " وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي أنها ترقق القلب وتُدْمِعُ العين وتُذكِّرُ الآخرة " وإسناده جيد ، وكان سعيد بن جبير وربيع بن أبي راشد رحمهما الله يقولان : (لو فارق ذكر الموت قلوبنا ساعة لفسدت قلوبنا)

أفي دار الخـــــرابِ تظـــــل تبـــــني وتعمـــــرُ ، مـــــا لعمـــــرانٍ خلقتـــــا
ومـــــا تركـــــت لـــــك الأيام عـــــذراً لقـــــد وعظتـــــك لكـــــن مـــــا اتّعظتـــــا
تنـــــادي للرحيـــــل بكـــــل حـــــينٍ وتُعلِـــــنُ أنَّمـــــا المقصـــــود أنتـــــا
يضـــــيعُ العمـــــرُ في لعـــــبٍ ولهـــــو ولـــــو أُعطيـــــتَ عقـــــلاً مـــــا لعبتـــــا
فمـــــا بعـــــد الممـــــات ســـــوى جحـــــيمٌ لعـــــاصٍ ، أو نعـــــيمٌ إن أطعتـــــا
أيا غصـــــنَ الشـــــبابِ تميـــــلُ زهـــــوًا كأنـــــك قـــــد مضـــــى زمـــــنٌ وشـــــبتا
ولا تُمهِـــــل فـــــإن الوقـــــتَ ســـــيفٌ فـــــإن لم تغتنمـــــه فقـــــد أضـــــعتا

وفي الختام أسأل المولى جل وعلا أن يرزقنا الاستقامة على دينه وأن يثبتنا على صراطه المستقيم وأن يهدينا ويسددنا، ونسأله أن لا يُزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة نبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة جنة الخلد، وأن يمن علينا بالشهادة في سبيله والنظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه، في غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة . ونسأله كما هدانا للإسلام أن لا ينزعه منا حتى يتوفانا عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

الفهرس